

عندما يبكي الحب



الطبعة الأولى
١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

تنبيه

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف والناشر على هذا كتابة ومقدمًا.

اسم الكتاب	: عندما يبكي الحب
اسم المؤلف	: حسن خليل
الغلاف	: إيمان صلاح
الطبعة	: الأولى
رقم الإيداع	: ٢٠١٦ / ٢٠٢٨٨
الترقيم الدولي	: ٩٧٨-٩٧٧-٧٨٦-٠٨٠-٢

٨ عبارات الواحة - قطعة ١٠ - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠

ghorabpublishing@hotmail.com

عندما يبكي الحب

حسن خليل

دار النشر والتوزيع

عن الحب

حرقة وألم، وفراق وندم، وانتظار وكتمان، ولقاء ثم حرمان،
ونحول جسم، وذهاب عقل، وفراق أهل، وهم وغم، ووحشة وغربة،
وهيام في المكان، وضيق في الزمان، وجراح قلب وسقم، هكذا الحب
مذ كان.

مهلاً يا من اتهمت الحب بالألم، إن كنت تتكلم فكف عن الكلام،
وإن كنت تكتب فاترك القلم، فلو عرفت الحب يوماً لأنصفته، وبرقيق
الكلام وصفته، فما للحب وما للألم.

تتكلم وكأنه برىء عما نجم، من فراق للأحبة، ومن موت أو
سقم، فلولا الحب ما شعروا بالألم، وما شاغلهم الفكر، ولا الوجدان
اضطرم، فكيف يكون بريئاً من الألم.

أيها الداعي بلا سبب، لقد ادعيت عن الحب العجب، والحب
برىء مما نسب، فاقدح الفكر تعرف السبب، وانظر الأمر ترى العجب،

فالحب يملأ القلب رفقا؛ ، ويملاً الروح نورا، والنفس أدبا، ويطلق
اللسان شعرا، ألا ترى في ذلك عجباً؟

لا، وإنما رأيت ذلك هما، فما منع قيس عن ليلاه إلا قوله شعرا، وما
منعوا المحبين إلا بعدما أشاعوا الحب، فلا أرى في ذلك إلا أنهم قد رأوا
الحب عيبا.

إنها بعض عادات العرب، وما للحب فيها من سبب، وإنما امتلاً
قلب عاشق بالحب؛ فأطلق في لسانه الشعر، فقال العجب في من أحب،
فإن رآه انشرح القلب، فانطلق اللسان فرحاً، فأسعد كل من سمعه،
وذكره بمن يحب. وإذا توارى عنه حزن، فانطلق اللسان يشكو الفراق
والبعد، فأحزن كل من سمعه، وأبكاهم قلباً بعد قلب، ولو أنصف
الناس لجمعوا الأحبة، وما فرقوا الحب، فما زادوهم بالفراق إلا لوعة،
فبالبعد يشتد الجوى ويزيد الحب.

إذا فسوء العادات من فرق بين الحب وأهله، فما بالك بمن جن
وذهب عقله، وهام الفياق وفارق أهله، أعادات أم أن الحب في العقل
أصابه؟

اعلم أن المحب لا يخشى إلا الفراق، فإن بعد بكى من لوعة
الاشتياق، وإن قرب بكى خشية الفراق، وفي كل أمل بعودة اللقاء، فإن
تيقن البعد جن لفقده أمل اللقاء، فما هو جنون الحب وإنما هو جنون
الفراق.

فما بالك في موت الأحبة عند فراق الأحباب، وانقضاء الأجل بلا
أسباب، فكم من عاشق فاضت روحه بلا سبب، عند علمه بأن الحبيب
إلى ربه قد ذهب.

هى المنيا وما للمنايا من سبب، فكم من مريض عاش دهرًا،
وصحيح مات بغير سبب، وكم من صغير سكن قبرا، وكهل عاش
حتى جذب، فإن كان الحب للمنايا سببا، فهو لها أشرف سبب، فقد
مات شهيدا من إلى ربه بالعشق ذهب.

حيرتنى يا من تدافع عن الحب، وكأنك تعرف بماذا يشعر القلب،
لكل سؤال جواب، ولكل شىء سبب، فهلا حدثنى عن الحب، أو
بماذا يشعر القلب حين يحب.....

الحب شعور فريد، واجده سعيد، وفاقده شريد، وقتيله شهيد، فإن
صادفك فسر فى ركبته، وانزل على أمره، وعن أهله أبدا لا تحيد، فكل
أمر فيه مباح، وكل شعور منه وليد، وكل ليلالى الحب فناء، ولحظة من
غيره عمر مديد.

الحب أن تجدك سائرا فى بحر محيط بمركب بلا شراع، أو غائضا فى
ماء عميق ما له من قاع، أو مسافرا فى الفيا فى بلا زاد ولا متاع، هكذا
الحب لا تُعرف له بداية، وما له من نهاية، يدق فهمه عن عقول البشر،
فإن ثبت بالروح فلا يترك فى القلب للمشاعر من أثر، طريق بلا رجوع،
ودهر بكل ما فيه؛ لا يضاهى لحظة حب وإن صحبتها الدموع.

الحب ليس أن تشعر بحبيبك حين تراه، ولكن أن تشعر به حين لا
تراه، ولا أن تكون معه حين حاجتك إليه، ولكن أن تكون معه حين
حاجته إليك، ولا أن تسمعه حين يبوح، ولكن أن تسمعه حين يخفى،
فإن أدركت ذلك فإنك محب، وإلا فللحب أقوام يعرفهم ويعرفونه
واعلم يا من تجنيت على الحب، بأن النساء تبكى بحثا عن الحب، ويبكى

الرجل عند فقد من يحب، فحزننا بالحب، وفرحنا بالحب، وقل ما يبكي
أحد عندما يبكي الحب.

أو يبكي الحب؟!

نعم كثيرا ما يبكي الحب

ومتى يبكي الحب؟

سؤال طرح على العالمين، فانشغلت به الأذهان، وتفتقت العقول،
وما من إجابة جلية، تشفى عناء المحبين، وتريح صدور السائلين،
وكأنهم لا يعرفون الحب، ولم يشعر به قلب، إلا القليل من العشاق، من
احترقت قلوبهم من الأشواق، وذاقوا العذاب في بعد الأحباب، والهناء
والسعادة في الاقتراب، وكانوا في حبهم من الصادقين، ولأحبابهم
مخلصين، فأجابوا لعلهم يواسون قلوب المساكين، الذين ذاقوا بعد
العاشقين، وصمت المحبين، فقالوا وهم باكين:

يبكى الحب عندما يصدق المحبون ولا يلتقون،

يبكى الحب عندما يملأ القلب ولا يبوح به المحب،

يبكى الحب عندما يطغى الحاسدون وبين المحبين يفرقون.

يبكى الحب عندما يعيش العبد حرة فيصمت ويقاسى العذاب
والأين،

يبكى الحب عند يعيش المرء من لا تحل له ، فلا البوح يفيد ولا
الصمت يعين

نعم يبكى الحب ويعلو الأنين، ولكن لا يسمعه إلا المحبون

واعلم يا من تجنيت على الحب، بأن العمر ساعات، ما بين أفراح
وأحزان، فضحكات وآهات، فلا أجمل من ساعة تنتظر فيها الحبيب،
ولا أوحش منها حين عنك يغيب، ولا أهناً منها حين تنعم بالقرب،
فإن استطعت فاجعل ساعاتك كلها حبا، واسعى دائما للقرب، فإنما
تقاس الأعمار بساعات الحب، وتزداد جمالا بنعيم القرب.

فهو المقام الأسمى، فكل مقام ينقضى بالموت، وإلى الخلود يكون
مقام الحب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنت مع من أحببت)

حسن خليل

أسرار المحبين

للحب أسرار لا يعلمها إلا المحبون

تحملها أرواح، وتنفض بها قلوب، وتخفيها إن استطاعت العيون،
فنظراتهم ليست كما النظرات، وإنما أسهم تصيب القلب وتتخطى
الأجساد، وكلماتهم إشارات تحمل أعمق العبارات، وأنفاسهم آهات
تتوارى خلف البسمات، قل ما يستطيعون البوح بما يحملون، أو
التصريح بما يشعرون، وإنما تخرج من عيونهم عبرات، تسيل على
الوجنات، فما بكائهم من حزن، وإنما البكاء طبع العاشقين. وكم طال
بكائهم وعلا الأنين، لما علموا «بأن الله يحب كل قلب حزين»^(١)

نظراتهم

آه من نظرات الأحباب، حديث بلا شفاه، وكلمات تلقيها مقالات

(١) رواه الحاكم في المستدرک

من خلف الأهداب، عند الفراق رجاء وآهات، وعند اللقاء فرحة وترحاب، وعند الجفاء لوم، وعند الصلح غفران أو عتاب، فكل نظرات المحب سؤال، وكل نظرات المحبوب جواب، وإنما لا يدريها إلا من غاص في بحر الحب، وفي أنوار العشق ذاب. ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (النجم ١٧)

ألسنتهم

أعفة اللسان، حديثهم ألحان، وصمتهم أشجان، لمحبوهم ذاكرون، وعن غيره صامتون، لا يعرفون الفحش وبذاء اللسان، وإنما الحسن والثناء، وإن هجأهم العزال، قد تفضح ألسنتهم ما تحفى قلوبهم، فتلقى نثرا، أو تنظم شعرا، يفيض حبا، فينهل منه القاصي والدان. ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون ٣)

أنفاسهم

أنفاسهم رياحين، ما بين شهيق وزفير، فشهيقي يملأ القلب صفاء ونقاء، وزفير يخرج ما فيه من أهواء، فأنفاسهم لنفوسهم دواء، ولقلوبهم نقاء، ولأرواحهم ارتقاء. ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة ٢٢)

جماهم

جماهم لا يدركه عقل وإن وسع الخيال، ولا تبصره عين وإن اعتادت على الجمال، فما له من مثل يعرف به، وما له من وصف عليه يقال، وإنما ملاً الحب بالنور بواطنهم، فازدانت به ظواهرهم، فصار النور لأجسادهم كالوشاح، تبصره القلوب وتدركه الأرواح؛ كلما بدا نوره أو لاح. قال تعالى: ﴿يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ (سورة الحديد ١٢)

دقات قلوبهم

دقات قلوبهم كدقات دف يُطرب بها أهل الفن، أو نغمات وتر في لحن أغن، يحسبها الجاهل من فرط حنينها تنن، ولا يدري بأنها إلى الحبيب تحن، وتخفى عن العزال حنينها، فالحسد في قلوب العزال ما منه أجن. ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق ٥)

دموعهم

قطرات تملأ مقلات العين، ثم تنساب منها على الخد، من فيض حب ملاً القلب، ثم ازداد وتخطى الخد، فلا اللسان يعبر عنه، ولا الكتان يريح القلب، فيسيل الدمع مفرجا للهيم، وحاملا رسائل حب، من قلب إلى قلب. ﴿إِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (مريم ٥٨)

نومهم

ينام الناس ولا ينامون، فتصحوا قلوبهم وإن نامت عيون، وتهيم أرواحهم في من يحبون، مشغول فكرهم وإن استرخت أجسادهم، فما

النوم راحة لهم، وإنما برزخ لأهل الحب، فيه يلتقون، وللغرام
يتطارحون، فلا يرقبهم عازل ولا تراهم عيون ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ
وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ (٢٦) ﴿الإنسان ٢٦﴾

أحوالهم

سكارى بغير خمر، لا يفيقون ولا يتوبون.
أسارى بغير أسر، لا فدو يبتغون، ولا قيد يسأمون.
حيارى بغير فكر، لا يختارون ولا يتركون.
عبيد بغير رق، لا عن معبودهم يبرحون، ولا الحرية يطلبون.
غرقى بغير بحر، لا يسبحون ولا يستغيثون
أحياء بغير موت، فأهل الحب لا يموتون ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا
تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة ١٥٤)

المكان عندهم

حيث وجد الحب توجهت أبصارهم، وسعت أجسادهم، ورحل
إليه فكرهم، فإن تيقنوا سجدت قلوبهم، وامتزجت أرواحهم، ثم
غيبهم الحب عن المكان، فصاروا ولا مكان لهم، وإنما وجهتهم الحب
أيما كان. ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١٥) ﴿البقرة ١١٥﴾

الزمان عندهم

أزمانهم بأوقات الحب تقاس، لا بما يعرفه الناس، فسينهم أشواق، وشهورهم اشتياق، وأيامهم حنين، وساعاتهم سهد، ودقائقهم وجد، وثوانهم اللقاء، فبالبعد وإن قل؛ أزمانهم سنين، وبالقرب وإن طال أزمانهم ثوان، فبالحب لا بغيره يقاس عندهم الزمان فتطول أو تقصر الأيام. ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج ٤٧)

آلامهم

ما قاسى المحب من ألم، أشد من شوق تأجج في الصدر ثم اضطرم، لا يخمد إلا لقاء محبوبه، واللقاء بينهما قد حُرِّم.

ولا من حب وليد ملأ القلب، إن باح به ندم، وإن أثر الكتمان اشتد الألم

أو من صد محبوب بحبه له قد علم، فلا يدرى أجفاء أم هجر، أم خوفا من لوم العزال كتم .

فلا تحزن أيها المحب العاشق، فأسمى ما في الحياة حب بلا أمل ﴿أَمَرَأْتُ الْعَزِيزِ تُرْوِدُ فَتْنَهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (يوسف ٣٠)

خوفهم

كم يقاسى المحبون العذاب، من صد أو لوم أو حتى عتاب، فما وهنوا، وما يأسوا، فكلها للوصول - وإن تعددت - أسباب، ولكن ما

أخوفهم من ذهاب بلا إياب، و هجر بلا أسباب، أو غياب واغتراب،
 فكل على المحبين يهون إلا فراق الأحباب. ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ
 لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحْذَمَ أَعْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
 الدَّمْعِ﴾ (التوبة ٩٢)

فلا تلوموا على محب بكى، فدمعته بحر من الأحزان تلاطمت فيه
 الأمواج، ولا تلوموا عليه إن يوما شكّا، فشكوته صرخة مهموم أضناه
 البعد وآلمه الشوق، وصاحبته الأشجان، وما له غير الوصل انفراج، فلا
 تلوموا على محب أبدا، فإنها هو كمن جنحت به المركب، في بحر محيط لا
 يعرف مشرقه من المغرب، إن يتركها يغرق، وإن يجذف يتعب، فلم
 يجذع ولا حظه يندب، وإنما سلم أمره إلى الله اشتكى، وسالت دموعه
 على خده وإلى الله بكى، علّ الله يجمعه بحبه، فعلى الله جبر الخواطر،
 ولن يرد الله قلبا بكى، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى
 اللَّهِ﴾ (يوسف ٨٦)

وننتقل من الحب وأسرار المحبين، إلى قصص العاشقين، الذين
 هاموا في الحب ذائنين، ففي قصصهم عبرة، وفي قصصهم جمال ظاهر
 للنظرين، فكلهم أسعده الحب، وإن لم يحظ بمن يحب، ولولا فراقهم،
 ولوعتهم، ما وصلت إلينا بلاغتهم ولا أشعارهم، ولا قصصهم، فقد
 أثرى الحب الشعر والنثر، ودام في دنيانا إلى يوم الدين.

من عرف اسمهما

صحبة للنهاية

١ - الأحوص وبشرة

ما لجديدِ المَوْتِ يا بِشْرَ لَذَّةٍ وَكُلُّ جَدِيدٍ تُسْتَلَدُّ طَرَائِفُهُ
فَلَا ضَيْرَ، إِنَّ اللَّهَ يَا بِشْرَ سَاقِنِي إِلَى بَلَدٍ جَاوَزْتُ فِيهِ خَلَائِفُهُ
فَلَسْتُ، وَإِنْ عَيْشٌ تَوَلَّى، بِجَارِعٍ وَلَا أَنَا مِمَّا حَمَمَ الْمَوْتَ خَائِفُهُ^(١)

كانت بشرة جارية للأحوص، وقد أحبها حبا شديدا، ولم يفارقها طوال عمره، وكان يصحبها في جميع أسفاره، وهى عشقته عشقا لا حدود له، فكانت دائمة القرب منه، وفى أحد أسفاره إلى دمشق، وافاه مرض المنية، فبكى، خشية عليها بعد الفراق، فوضعت رأسه على فخذها وبكت وكانت الدموع تنزل على خده، فرفع رأسه وأخذ يواسيها بأن الدنيا زائلة واللجنة باقية، فمات، فأخذت تبكى حتى ماتت فى يومها ودفنت معه.

(١) الأحوص بن محمد - مصارع العشاق

اللوحة الأدبية

عشقها ووله بها، ولم يستطع يوما فراقها، لأنها جميلة رقيقة، سريعة
الدمع على خدها، وأحبته واشتد غرامها، لأنه لين الطبع، جميل الشكل،
ينشد دوما ودها، سافر يوما وما تركها، فلما جد السير اشتكى،
وحضرته الوفاة فبكى، حزنا على فراقها، فأخذت برأسه ووضعتها على
فخذها، وجعلت تبكى وتقطر عليه الدموع من خدها، فرفع رأسه
ليرى ما بها، وأنشد شعرا عله يخفف ما بها، يحقر الدنيا ويطلب الآخرة
وجنانها، ثم مات على فخذها، فجزعت واشتد بكاءها، فما انقضى
الليل إلا وهى فى قبرها.

الوقور والحب

٢ - أبوريحانة وجمعة

سمراء يا حلم الطفولة يامنية النفس العليلة
كيف الوصول الى حماك وليس لي في الامر حيلة
ان كان في ذلي رضاك فهذه روعي ذليلة^(١)

أبو ريحانة شيخ وقور أفقده الحب وقاره، حين رأى جارية سوداء
رشيقة جميلة تحمل قربة وتتمايل بها، فوقع حبها في قلبه فتبعها، وطلب
منها أن تغنى له على أن يحمل القربة عنها، فلما غنت له تواجد وألقى
بالقربة فكسرها، فبكت خوفا من مليكها، فقال لها لا تبكى وذهب إلى
السوق فباع ثوبه واشترى لها قربة، وجلس عاريا يضع يده على عورته
ليداريها، فمر عليه أحد الأشراف يداعبه، ثم أعطاه أمولا ليشتري ثوبا
جديدا.

(١) الأمير عبد الله الفيصل

اللوحة الأدبية

سوداء اللون رشيقة القد، جميلة البسمة، رائعة الصوت، تتمايل فتميل القلوب حيث مال منها القدُّ، اسمها جمعة، وما لها مثل، كالجمعة في الأيام؛ ما لها ند، وهو أبو ريحانة شيخ جليل وقور قوله لا يرد، ولكن الحب أصاب من الحد، حين مرت أمامه تحملة قربة ويتمايل من حملها القد، كأنها غزاة تتهادى على الأرض، فهب مسرعا خلفها، كما يفعل إذا رأى الغزاة الفهد، فقال: يا سيدتى هل لى منك بصوت، عل به قلبى إلى جسدى يرد، فقالت: وعلى كتفى القربة؟، فقال: أحملها عنك، فغنت فطرب من غنائها؛ وضرب بالقربة الأرض، فبكت وقالت أهكذا منك الجميل يُرد، فقال مهلا ودعى البكاء فمصيتى أكبر منك، فصحبها إلى السوق فباع شملته، وجلس عاريا ويديه على عورته، فمر به شريف وعرف قصته، فقال: أحسبك من الذين قال الله فيهم ﴿فَمَا رِيحَتْ يَجْدَرُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة ١٦) فقال يا ابن رسول الله وعترته إنما أنا من الذين قال عنهم: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۖ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (الزمر ١٨) فضحك الشريف وأعطاه ألف درهما يقضى بها حاجته، فأخذها واشترى منها شملته. آه من جمال الحب وسيرته.

ضحيتا الهوى

٣ - أبو مالك بن النضر وسعاد

يَا رَسِيسَ الْهُوَى أَذْبَتَ فُؤَادِي، ... وَحَشَوْتُ الْحَشَا عَذَاباً أَلِيماً^(١)

أبو مالك بن النضر، فتى من بنى عذرة عشق فتاة عذرية تسمى سعاد بنت أبي الهيثم، وهى ابنة عم له، ولكنه اختفى بضع سنين، وفى يوم ضلت إبل لأحدهم من حيه فلما خرج ينشدها سمع صوتاً ضعيفاً يشكو الهوى، فإذا به بأبى مالك، فسأله عن خبره وسر اختفائه، فقال عشقت ابنة عمى سعاد، ولما شكوت ما أجدر لابن عم لى، احتملنى إلى هذا المكان، وكل يوم يأتنى بخبر عنها، ويأتنى بطعام، فقال الرجل: أنا أخبر أهلها، وتركه وذهب فأخبر أهلها بحاله، فقالوا: هى له إن شاء الله، فعاد إليه الرجل ليزف له الخبر، فإذا به فى الرمق الأخير، فجلس عنده حتى مات، فلما أخبرهم بذلك مكثت الفتاة بعدها بثلاث ثم ماتت.

(١) أبو مالك بن النضر

اللوحة الأدبية

أبو مالك بن النضر، عاشق لم ينصفه الدهر، مازال في عشقه حتى
اختفى، ولم يعرف له أثر، و مر من السنين عشر، حتى مر جاره في
سفر، على واد فضلت له إبل، فراح ينشدها فسمع أنينا له في القلب
شديد الأثر، يبكي وينشد شعرا، تذوب منه الحشا، ويلين إليه الحجر،
فقال: من؟ قال: مالك بن النضر، قال: ما بك وما فعل بك الدهر؟
قال: عشقت سعادة فشكوت لا بن عمها ما أجد، فاحتملني وتركني
ويأتيني كل يوم عنها بخبر، فرق الرجل لحاله وقال: انتظر، لعل آتيك
من أهلها بخبر، فأتاهم وقص عليهم الخبر، فرقوا له وقالوا: هي
زوجته إن حضر، فعاد إليه الرجل، ليزف له الخبر، فقال: الآن وقد
حشرجت النفس واحتد البصر، وزفر زفرة فمات، فواراه ثم حمل إلى
أهله الخبر، فمكثت ثلاثا لا يبيت في جوفها للطعام من أثر، ثم ماتت
لتلحق بأبي النضر.

وفاء وغدر

٤ - حسن ونعيمة

قلبي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُتَلِفٌ رُوحِي فِدَاكَ عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفِ
لَمْ أَفْضِرْ حَقَّ هَوَاكَ إِنْ كُنْتُ الَّذِي لَمْ أَفْضِرْ فِيهِ أَسَى ، وَمِثْلِي مَنْ يَفِي
مَالِي سِوَى رُوحِي ، وَبَاذِلُ نَفْسِهِ ، فِي حُبِّ مَنْ يَهْوَاهُ لَيْسَ بِمُسْرِفِ

حسن مطرب شعبي من إحدى قرى الدلتا بمصر المحروسة، وبطبيعة عمله كان دائم التنقل بين القرى في ذلك الوقت، فأوقعه الحب في نعيمة، وهي فتاة جميلة من قرية مجاورة لقرية حسن، ولكن رفض أهلها زواجها من حسن، لأنه من طبقة فقيرة، وهم من أصحاب الأرض والمال، ولكن تمردت نعيمة على هذا الرفض، وفرت من بيتها إلى قرية حسن، وجاء أهلها إليه واصطحبوا ابنتهم على وعد منهم أن يزوجوها له، فلما ذهب معهم غدروا به وقتلوه، وهزت هذه الجريمة أركان الدلتا، بعدما طفت جثة حسن فوق الماء.

اللوحة الأدبية

جميلة رقيقة، في السن صغيرة، وفي القدر شقيقة، واسمها نعيمة، والفتى اسمه حسن، فاق صوته صوت الطير على فنن، ملأ الريف بألحان يُطرب لها القلب قبل الأذن، فأحبه الناس وقالوا: حسن، كلما صدح بصوته الجميل؛ تحن إليه القلوب وتميل، ولم تكتف بالسمع نعيمة، وإنما أرادت نظرة كريمة، فوقفت في العلية تنظر إلى حسن، وارتفع الموال برأسه فالتقى النظر بالنظر، فارتجف قلب نعيمة وتلجلج في القول حسن، ثم عاد وتدارك النظر، وكلما التفت ضحكت وتبسم لها حسن، فوقع حبه في قلب نعيمة، ووله بحبها حسن، فعاد يكلم ذويها، فقالوا زواجها لابن عمها قد قُسم، فعاد على أدراجها يملأ قلبه الحزن، وأبت نعيمة العيش والزواج بغير حسن، ففرت من بيتها وارتمت في أحضان حسن، فصانها الفتى حتى لحق به أهلها، فتصدى لهم حسن، فاستدرجوه باللين وبالقول الحسن، أن ردها إلينا فقد قال الناس عنها قولاً غير حسن، ثم اتتنا وهى لك ولن تعود بغيرها يا حسن، فذهبا معهم ويجزوه في زواجه منها الأمل، والعيش في سعادة وهناء إلى الأبد، فقتلوه غدرا، وفصلوا الرأس عن الجسد، وألقوه في النيل فلم يعرفه سوى أمه أحد، أما نعيمة فلم ندر ما حدث لها ولم يحك عنها أحد، وإن كان الحاقد أعمى القلب، قد قضى على قصة الحب، فقد خلدها الموال إلى الأبد، هكذا الصادق من الحب يعيش في قلوب الخلق وإن طال الأمد.

حب أم خطيئة

٥ - ياسين وبهية

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصيرٌ بأدواء النساء طيبٌ
إذا شاب رأس المرء أو قلَّ ماله فليس له من ودهن نصيبٌ
يُردن ثراء المال حيث علمته وشرح الشباب عندهن عجيبٌ^(١)

قصة ياسين وبهية، من قصص الحب التي حيرت الناس، ولم يدروا أكانت قصة حب صادقة، أم كانت غير ذلك، فياسين هو أحد أفراد قبيلة العباددة، وقد ذاع صيته في الصعيد وحتى وصل إلى القاهرة، كأكبر قاطع طريق في ذلك الوقت، ولا ندرى كيف انحرف به المسار إلى أن يكون كذلك، وقد أرسلت أكثر من قوة للقضاء عليه فلم تفلح، حتى استطاع أحد الضباط قتله بأربع رصاصات فمات في الحال، فخرجت شابة تحمل مولودا، وتزغرد فرحا بمقتله، ولا ندرى أكانت حبيبته وتعيش معه بإرادتها، أم كانت مختطفة وقام باغتصابها، فحتى

(١) علقمة الفحل

الآن لم تسدل الستار على هذه القصة، وإن كانت مشهورة على أنها قصة حب كبيرة بين ياسين وبهية.

اللوحة الأدبية

ياسين وبهية، قصة حب أم خطية؟، عاش الفتى في الجبال العلية، لم ندر أهى عزلة، أم هربا من يد الحكم القوية، فذاع صيته وبطشته القوية، فقالوا: قاطع طريق، وقالوا: لص، وقالوا: قاتل لا يعرف الرحمة، ويروى قلبه بسفك الدماء ربا، فصار الفتى بطلا لأصحاب الهمم الردية، وكل من صار في الخلق ضحية، ومجرما عند أصحاب المقامات العلية، وكل من نظر إلى الخلق نظرة ردية، فخاف منه القاصي والداني، بمجرد سماع اسمه ترتجف حتى القلوب القوية، حتى جاءه من لا يعرف للخوف هوية، وبالحيلة أخرجه من المغارة، ثم بادره برصاصات قوية، فأرداه قتيلا ولم تنفعه قبضته القوية، فخرجت بالزغاريد من المغارة بهية، ولم يُعرف أفرحا بموته، أم خوفا من بطش الأهل ببهية، وصرخ على يديها طفلها، ولا ندرى أهو ثمرة عشق أم نتاج خطية، فانتهد بالقتل حياة ياسين، ولم يدر الناس شيئا عن بهية، وإن ظنوا بأن القتل كان لها نهاية طبيعية، فصارت حكايتها موالا وأغنية، على الرابة يرويها الراوى، وصارت منسكا من المناسك الشعبية، وكل يتمايل لها، وكل يفخر بياسين، وكل يحزن لبهية، ولا زلنا لا ندرى أهى قصة حب أم خطية!

الجبار والحب

٦ - شمشون ودليلة

ميزت بين جمالها وفعلها ... فإذا الملاحه بالقباحة لا تفي

حلفت لنا أن لا تخون عهودنا ... فكأنها حلفت لنا أن لا تفي^(١)

تشير قصة شمشون ودليلة إلى الصراع القديم بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وتتحدث هذه القصة، الواردة في أسفار العهد القديم، والتي جرت حوادثها في مدينة غزة، عن غرام شمشون اليهودي بدليلة الفلسطينية. والحكاية على النحو التالي: كانت أم شمشون قبل ولادته عاقراً، لكن ملاك الرب بشرها بأنها ستلد غلاماً، وهذا الغلام سيخلص بني إسرائيل من الفلسطينيين الذين كانوا أسياد المدن في جنوب فلسطين. وعندما حملت المرأة الإسرائيلية ثم ولدت ذاك الغلام دعت به باسم «شمشون». ونشأ شمشون جباراً، فكان يحرق زروع الفلسطينيين في عسقلان، ويسلب أمتعتهم. وقد استقر شمشون في غزة، وهناك تعرف إلى فتاة غزية تدعى «دليلة» ووقع في غرامها،

(١) ابن السراج

وتزوجها خلافاً لإرادة والديه. أما دليلة فكانت تعد العدة مع قومها الفلسطينيين للانتقام من شمشون الجبار. وعلمت، بالتدريج، أن سر قوة شمشون تكمن في شعر رأسه، فأخبرت قومها بذلك، واحتالت عليه بالنوم على ركبتيه.

وعند ذلك هجم قوم دليلة عليه وقصوا شعره وفقأوا عينيه وأوثقوه بالسلاسل، واعتقدوا أنهم تخلصوا من بطشه وشره. وفي أثناء إقامته في السجن راح شعر رأسه ينمو رويداً رويداً. ولم يطل الوقت كثيراً حتى استرجع شمشون قوته. وبينما الفلسطينيون يحتفلون بإله القمح ويمرحون في المعبد وعددهم يزيد على ثلاثة آلاف رجل وامرأة، عمد شمشون إلى جذب السلسلتين اللتين توثقان ساعديه، وكانتا مربوطتين إلى عمودين من أعمدة المعبد، وصاح: «عليّ وعلى أعدائي يا رب». وفي تلك اللحظة انهار المعبد على الرؤوس، وقتل الكثير ومن بينهم شمشون ودليلة.

اللوحة الأدبية

بشرها ملاك الرب بـغلام وكانت عاقرا، فأنجبت من ظنوا أنه للعالم من الظلم مخلصا، فنشأ شمشون جبارا فارعا، لا يخشى مقيما ولا غازيا، ولا يقدر عليه من كان للقوة صاحبا، وعلى البطش قادرا، ورأى الجبار (دليلة) وقد كان جماها طاغيا، فوقع في قلبه الحب، والحب أقوى من الجبال الرواسي، وآثرت قومها على حبها، فاستدرجته وعلمت بأن سر قوته في شعره كامنا، فاحتالت ونامت على ركبتيه، فظل على حاله ثابتا، فانقض عليه القوم قبل أن يقوم مصارعا، فقصوا شعره، وفقأوا عينه، وقيدوه بالسلاسل، وسحبوه بها مكبلا، وظنوا أنه للضعف استسلم، حتى نما شعره وعادته القوة ثانيا، واجتمع القوم في المعبد، ليحتفلوا بعيد الإله الأجد، فجذب الجبار السلاسل، وقد قيدت بعماده الأوسط، وقال على وعلى أعدائي يا رب فاشهد، فانهدم على القوم وبهم دليلة المعبد، ومات شمشون بعد أن أدرك بأن حبه سر نهايته.

حب بلا حدود

٧ - عاصم وإيزابيلا

يا لائمی فی حُب مَنْ مِنْ أَجْلِهِ قَدْ جَدَّ بِي وَجْدِي وَعَزَّ عَزَائِي
هَلَّا نَهَاكَ نَهَاكَ عَنْ لَوْمِ أَمْرِي لَكَ يُلْفَ غَيْرَ مُنَعَمٍ بِشِقَاءِ
لو تدر فيم عدلتني لعدرتني خَفَضَ عَلَيْكَ وَخَلَّنِي وَبَلَّائِي^(١)

عاصم فتى مسلم، كان جده من وزراء الملك، فوشى به الواشون فأقعده الملك، ولكن بعد علمه بأنه ظلمه، تعهد بأن يكون عاصما عندما يكبر من أمراء الملك، شب مع أسرة مسيحية بالجوار وكانت إيزابيلا ابنتهم فأحبها وأحبته، وطلبها للزواج ولكن أباهما رفض إلا أن يكون الفتى صاحب عمل، فقال أمهلوني عاما فأمهله فلما ذهب إلى الملك طرده، فذهب إلى مملكة الجوار فأكرمه ملكها ولكنه بقي عنده خمس سنوات، وعاد وقد تزوجت إيزابيلا وكان هذا يومها الثالث، ولكنها مرضت ولم يدخل بها زوجها، فلما علم ذلك تسلل إلى القصر وزارها،

(١) عمر بن الفارض في ديوانه

وعلم أن زواجه منه أصبح مستحيلا، فمات من يومه، فلما مرت الجنازة
بقصرها، نزلت ليلا تبحث عن قبره وألقت بنفسها عليه وماتت هي
أيضاً.

اللوحة الأدبية

وما زلنا مع طيب الأندلس الرطيب، حيث قصة حب حق
عجيب، بين فتى وفتاة عن عينه لا تغيب، جيرة في السكن، ومساواة في
السن، واثتلاف في القلب، وما ظنا الفراق يوما، ولكن حكم القضا
عجيب، ما اختلفا إلا في الدين، والدين لا يفرق بين حبيب وحبيب،
جده من خليفة المسلمين قريب، فوشى الواشون به فأبعده الملك، وإن
كان بعده عنه لا يطيب، ثم أدرك ظلمه، فقال: يحل مكانه يوما الحفيد،
عندما يكبر وله مكان منا قريب، وأغدق عليه المال، عوضا عن ظلمه
الرهيب، حتى شب الفتى، وتحول قربه من الفتاة إلى حب عجيب،
ولكن ذاك العشق لوالدها لا يطيب، فمنعها عنه عليها للبعد تستجيب،
فزادت به ولعا، واحترقت شوقا لرؤيا الحبيب، فقال الفتى: يا عم
أيمنعك الدين من طلبى أن تستجيب، فأتزوج ابنتك فأنا لها حبيب،
ولست عنها بغريب، قال: لا، ولكنى أراك بلا غد، وطريق الحياة يا بنى
صعيب، قال سأذهب إلى الخليفة، وقد وعدنى بمكان منه قريب،
فأمهلنى عاما ثم إليك أعود، فأمهله وطيب خاطره، ووادعته الفتاة
بالهمس وبالورود، وتعاهدا على الصبر والوفاء بالعهود، وهامسها
بكلمات عذبة، وبقلب ودود، وقالت: أحبك مهما فرقت بيننا السدود،
فلا تغب على، قال غدا إن شاء الله بالحب وبالود أعود، ومضى الفتى
حاملا من الملك الوعود، ولكن الملوك لا تفى بالوعود، فطرده،
ومضى الفتى ودمعه على الخدود، لا يدري أيمضى قدما، أم بأذيال الخيبة

يعود، ففر إلى مملكة على الحدود، على عرشها ملك عادل ودود، قل الزمان بمثله أن يجود، فقربه منه، لما علم رقة قلبه الودود، ومر عام ثم عام حتى تمت خمسة والفتى للحبيبة لا يعود. قال الوالد: يا بنيتى المنال بعيد، ذهب الفتى ولا أظنه يعود، وزواجك خير علاج لقلبك الودود، فزوجت وسقطت مريضة، عند كتابة العقود، فحملوها لأعلى القصر، ولسانها الجميل معقود، وإذا بعاصم فى الليلة الثالثة يعود، محلى بالذهب وبالفضة وباللؤلؤ المعقود، فاستقبلته الأم بفرحة ممزوجة بحزن عميق، وأخبرته فقال ليتنى لم أعد، فهرع متسورا قصرها المرصود، فلما رآته بكت، وقالت فات الأوان، فاذهب ولا تعود، فقال إما الوصال وإما أموت، قالت الحياة أمامك، وقد تعست بزواجى المنشود، وداعا يا حبيباً قد طال انتظاره، حتى ظننته لا يعود، وتراجع الفتى والعبرات تشق الحدود، حتى توقف عن الخفقان قلبه الودود، بعد أن ردد قوله: إيزابيلا لن تعود، وفى الصباح مرت جنازته بالقصر، والنساء خلفها يلطمن الحدود، ونزلت العروس ليلاً تبحث عن القبر الجديد، فوجدها الحارث وقد انكبت واحتضنت ثرى اللحود، فجذبها ليساعدها على النهوض، فإذا وقد فاضت روحها، لتلقى الحبيب حيث لا حدود.

من عرف اسمها
ولم يعرف اسمه

حق الأخوة

٨ - عاشق بنى كندة وريا

قلبي يُحدِّثني بأنك مُتلفي، لا غرو إن شحَّت بغمضِ جفونها
روحي فداك عرفت أم لم تعرف عيني وسحَّت بالدموع الدُّرِّف
أخفيتُ حبَّكم فأخفاني أسيَّ حتى ، لعمري، كدتُ عني أختفي^(١)

أخ همام من بنى كندة، يستخلفه أخوه في سفره على أهله، فرأى يوماً زوجته وهى حاسرة الرأس دون أن تدري، فوقع في قلبه حبها، وأمراضه ذاك الحب، فلما جاء أخوه استعان بجميع أهل الطب، ولكنهم لم يجدوا دواء للحب، فأسكروه حتى يعلموا ما به، فلما سكر ذكر زوجته أخيه، فقال أخوه هى طالق منى، فتزوجها يا أخى، فقال : هى على كظهر أمى، فلم يتزوجها، ثم انطلق هائما فى الصحراء إلى أن مات، فاختلف الناس أيها أكرم هو أم أخوه.

(١) عمر بن الفارض فى ديوانه

اللوحة الأدبية

غرام ما بعده غرام، وعفة ووفاء واحترام، وكتمان وسهر وسقام،
حين استخلف الأخ أخاه الهمام، على بيته لسفر له إلى الشام، فدخل يوما
وقد نزعت زوجته عن وجهها اللثام، فرآها وكانت كالبدر في ليل
التمام، فمدت يدها لتعيد اللثام، ولكن هيهات فقد وقع الغرام، فانزوى
وقد جفاه المنام، وكف عن لسانه الكلام، وآسى ليالى الصب، وكذا
الأيام، وبات عليلا من ذوى الآلام، كلما رآه أخوه بكى، وقال أخبرنى
ما بك من آلام، فيبكى ويصمت خشية افتضاح الغرام، فطلبوا راق عله
يزيل السقام، فقال: ما به من مرض، وإنما هو العشق والغرام، فأسقوه
خمرا عله ينسى الوفاء بالآثام، فصّرّح السكير بالغرام، فقال زيدوه فقد
بدأ الكلام، فزادوه فصّرح باسمها وافتضح الغرام، فطلقها أخوه في
الحال، وقال: نعتاض بالزوجة، ولكن مثل أخى لا تأتى به الأيام، فأبى
العاشق زواجها، وقال: هى على كأمرى، وقد مات الكلام، ثم انطلق
هائما، ومات فى الهيام، فلما علم أخوه مات حسرة على رفيق الأيام،
فاختلف فى أيهما صاحب الإكرام.

الموعد العجيب

٩ - سعدى وقتاها الأسدى

إن الكريمين ذوي التصافي الذاهبين بالوفاء الصافي
أبعد والله ما لقيت في تطوافي من غدر ومن إخلاف^(١)

من ميتين في ذرا أعراف

سعدى، فتاة جميلة، وقد عشقها فتى من فتيان بنى أسد، وأبى أبوه أن يزوجها له، وأبى أهلها أيضا ومنعوها منه، فأرسل إليها، يخبرها بمدى اشتياقه إليها ويتهمها أنها ليس بها نفس الشوق، فقالت: لا تعجل وأخبرته أنها لا تبالي بما يفعل أهلها ولكنها ستموت غدا وتلقاه، فذهب إليها في الغد فوجدها ميتة، فاحتمل جسدها وذهب بعيدا عن القوم، فلم يعرفوا مكانها، إلى أن وجدوها يوما متعانقين تحت سفح أحد الجبال، فحملوها ودفنا في قبر واحد.

(١) لصاحب سعدى من مصارع العشاق

اللوحة الأدبية

منعه أبوه وصل الحب، ولم يشفع له ما به من وجد، ففاسى الغلام
و الوجد عليه اشتد، فأرسل إليها والله ما بعد ودك ود، وما الى سواك
إليه استند، والله لقد غارت العينان من حبك، وتفتت من أحشائي
الكبد، قالت: لا تعجل حبي، كفاني ما بى من بلاء وجهد، وزفرة ألم
وعبرة تسيل على اللحد، حتى أصبحت لا أبالى بهزل من أهلى أو بجد،
فإن منعوني عنك فذاك شأنهم، ولكنى بالموت ألقاك فى الغد، فأتنى
وتلمس مكانى، فإن لم تجمعنا الحياة سويا، جمعنا من دونها اللحد، فحياة
العاشقين لهم بدون وصل؛ موت، والموت لهم حياة وسعد، فلما جاءها
وجدها قد وفّت بالوعد، وماتت فحملها ولم يقترب من أحد، واختفيا
زمننا، وما علم الناس موقع اللحد، حتى رأوهما بعد زمن موتى يعانقان
بعضهما البعض، هكذا يكون الود، فلا يفرق الموت الحب، ولا ينسى
المحب العهد، فإن منعنا العناق فى الدنيا، تعانقا بعد الموت، فدفنوهما معا
وأسكنوهما اللحد.

حب وغربة

١٠- حميدة وزوجها

وَكُلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمَانِ وَجَدْتُهَا سِوَى
فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ هَيَّئَةَ الْخُطْبِ^(١)

فتاة من فتيات العرب، من أهل المدينة، طلبها رجل ليس من السكان الأصليين للمدينة، فتزوجت على كره منها، ولكن لما وجدت فيه حسن الخلق والخلق أحبته حبا شديدا، وتعلقت به، وهب سكان المدينة يوما فطردوا كل من لم يكن من المدينة، فتحيرت حميدة إما الزوج وإما الأهل، ولكن سرعان ما اختارت الزوج، ولكنها كانت تبكى بكاء شديدا على هجرها للمدينة، وخرجت يوما فسمعت من يتغنى بجمال المدينة فماتت من حسرتها، فلما ذهبوا بها إلى زوجها ورآها تحسر عليها ومات أيضا عند رؤيتها.

(١) قيل إنه لقيس بن ذريح وذكره الخرائطي في اعتلال القلوب عن سعيد بن المبارك أنه وجده مكتوبا على حجر في الجاهلية

اللوحة الأدبية

جميلة ظريفة، من نساء المدينة، صفاتها حميدة، واسمها حميدة، رآها
موسر من غرباء المدينة، فأخذت بقلبه، وذهبت بلبه، فسأل: فقالوا
حميدة، جميلة رشيقة، في النسب أصيلة، وفي الشرف رفيعة، فخطبها
فزوجت له على كره من حميدة، فلما رأت من حسن صفاته، وأرائه
السديدة، أحبت زوجها وأخلصت حميدة، ومكثا قليلا بالمدينة، ثم هب
أهلها وأخرجوا كل من كان غريبا عن المدينة، فاشتد بكاؤها على
زوجها واشتد بكاؤه على حميدة، فإما الأهل والوطن، وإما الزوج
وصفاته الحميدة، فاختارت الزوج وغادر الحبيبان المدينة، وأخذ
يواسيها وتبكي حميدة، فضمها وأعلمها أن ما باليد حيلة، وخرجت
يوما في المقيلة، وسمعت شابا يتغنى بالمدينة، ويتفنن في طرقاتها، ويذكر
أيامها الجميلة، وطيب مواضعها وأشجارها الجميلة، فلما سمعته
شهقت وماتت بالفراق عليلة، فحملوها لبيتها، فلما رآها قال: انتهت
أيامى الجميلة، لو كنت أعلم ما فارقت المدينة، ولكنه القدر يا حميدة،
والله لا يهنأ عيش بعدك، فقد باتت الروح عليلة، وانكب عليها ميتا،
فدفنوها معا بعيدا عن المدينة.

عهد ووفاء

١١- هند وابن عمها

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَتْ بَعْدَنَا أَمْ أَنْتَ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كُنْتُ أَعْهَدُ^(١)

عشقت هند ابن عمها وعشقها، ولكنه كان فقيرا فأبى الأب الزواج إلا على كثير من المهر، فطلبت منه هند السفر لطلب الرزق، على أن تبقى هي على عهده ويبقى على عهدها، وألا يتزوج غيرها وهي على قيد الحياة، ففعل، فبلغها أنه تزوج، فراسلته لتتأكد من الخبر، وراسلها، حتى عاد إلى القبيلة وقد مات أبوها فتزوجها.

(١) هند صاحبة القصة - مصارع العشاق

اللوحة الأدبية

فقير وقلبه نابض أبدا، بحب هند ابنة العم، رفيقة الطفولة والصبا،
وقد فاق عشقها له المدى، فطلب القرب من العم فأبى، إلا أن يأتيه
بالمال مغدقا، فإن لم يفعل فليس أهلا لها، فأرسلت إليه أن اخرج للرزق
طلبا، وإنى باقية على العهد أبدا، فإن أمت فلك الحياة أبدا، فخرج وقد
اتفقا وتعهدا، فبلغها أنه قد تزوج، فأرسلت إليه: أنسيت أم أنت على
عهدنا، فأرسل: عليك بحسن الظن فلن أنسى ما حييت وصالنا،
فأرسلت: إن الرجال أولوا غدر، وأخشى غدرك فيما بيننا، فأرسل:
أمنت من غدر ما دمت سالمة، وقد أضاء الأفق يا هند لنا، فأرسلت: لو
كان غيرك ما صدقته، ولكنك عندنا صادق أبدا، فأرسل: إن كنت ذا
صدق عندكم، فإن قلبي زاد بكم شغفا، فأرسلت: أقبل وعجل، فإن
أبى قد قارب الأجل، فقدم وقد مات أبوها فتزوجا.

الراعى والسبع

١٢- الراعى ومية

مَا بَالُ مِيَّةَ لَا تَأْتِي كَعَادَتِهَا أَهَاجَهَا طَرَبٌ أَمْ صَدَّهَا شُغْلُ
لَكِنْ قَلْبِي لَا يُلْهِمُهُ غَيْرُكُمْ حَتَّى الْمَمَاتِ وَمَالِي غَيْرُكُمْ أَمَلُ
لَوْ تَعْلَمِينَ الَّذِي بِي مِنْ فِرَاقِكُمْ لَمَا اِعْتَلَّكَ وَلَا طَابَتْ لَكَ الْعِلُّ^(١)

مر يوما رجل من العرب بشاب يرعى غنما لبعض الناس في الصحراء، فسلم عليه وسأله الضيافة، فأضافه خير ضيافة، فلما جن الليل أتته فتاة جميلة وجلسا يتحدثان، ثم انصرفت، فلما هم الرجل بالانصراف قال له الشاب الضيافة ثلاثة أيام، وذبح له شاة، وفي الليل لاحظ القلق على الفتى فقال ما بك، قال لقد تأخرت على ابنة عمى، وفي الطريق أسد أخاف أن يكون قد أصابها، فقال وما حكايتها؟ قال كنت أحبها وزوجها عمى لغيرى، فتركت مالى وأهلى وبلدى ورضيت بأن أعمل لدى زوجها بالرعى، حتى يتسنى لى رؤيتها، ثم تركه ومضى،

(١) الأبيات لعاشق مى - تزيين الأسواق فى أخبار العشاق

وعاد يحملها صريعة، وتركها وتقلد سيفه وبعد قليل عاد وهو يجر
الأسد مقتولا، ثم طلب من الرجل أن يدفنه معها، ووضع السيف على
الأرض وانكب عليه فمات.

اللوحة الأدبية

شاب أخرجه الحب عن الأوطان، وترك المال والأهل والخلان،
من أجل نظرة حب أو لمسة حنان، حيث جاءه في مرعاه أحد الضيفان،
فأكرمه ونعمه وقال نم عندي في أمان، فأتته ليلا جميلة لا يخطيء جمالها
العينان، فتحدّثا وتباكيا ثم مضت في أمان، فهب الضيف بالانصراف،
فقال: الشاب ثلاثة أيام إكرام الضيفان، فجن الليل ورأى الفتى قلّقا
حيرانا، ثم انشد ما بال مية لا تأتي كعادتها، أصدها عنى شغل، والله
أبدا ما كان، فسأله الضيف عنها، فقال: ابنة عم لي أحببتها، ولكن أبى
الأهل فافترق المحبان، وزوجت غيرى فلم تقدر على بعدها العينان،
فتركت المال والأهل والخلان، ورضيت بخدمة زوجها، ورعيت له
الأغنام، حتى تأتيني وتحدّثني كما رأيت، ثم تمضي فيبقى الحب بيننا
والحنان، والليلة فات موعدها، والقلب من ذاك الفوت حيران، ثم
انطلق مسرعا، وعاد بعد قليل يحمل الجثمان، وقد أصاب مية في طريقها
أسد جوعان، فوضعها وأخذ السيف وانطلق كالرهبان، يسابق الريح
ويطوى الزمان، وعاد بالأسد مقتولا فألقاه، وارتمى عليها يقبل الجثمان،
ثم أقبل على الضيف وقال: يا عم بحق من أمر بإكرام الضيفان، أن
تجمعنا في هذا الثوب ثم تنعينا الأهل والخلان، وتكتب على القبر ما
أوصيك به، فالتجور للمحيين أوطان، ثم انكب على سيفه ومات الفتى
الولهان، فواراهما ثم كتب على قبرهما:

كُنَّا عَلَى ظَهْرهَا وَالْعَيْشُ فِي مَهْلٍ وَالشَّمْلُ يَجْمَعُنَا وَالْدَّارُ وَالْوَطَنُ
فَفَرَّقَ الدَّهْرُ وَالتَّضَرُّيفُ أَلْفَتَنَا فَصَارَ يَجْمَعُنَا فِي بَطْنِهَا الْكَفَنُ

من عرف اسمه
ولم يعرف اسم معشوقته

دوحة الحب

١٣- جهد بن مهجع العذري

كتمت الهوى لما رأيتك جازعاً وقلت فتى بعض السرور يريد
وأن تطرحني أو تقول فتية يضربها برح الهوى فتعود
فوريت عباي وفي داخل الحشا من الوجد برح فاعلمنّ شديد^(١)

انقطع جهد عن القوم فلم يعلم له مكان، فقابله أخ من العرب فوق جبل عرفات، فعرفه، وإن كان تغير بنيانه، وسأله عن حاله، فأخبره أنه بخير، فلما كانا بالموقف سمعه وهو يستغيث بربه من يوم الدوحة، فسأله الرجل وما يوم الدوحة، فأخبره أنه استظل يوماً بدوحة، وتصادف أن أتى فارس على حصانه فاستظل بنفس الدوحة، وبقي معه ليلة، فاستلذ بحديثه، فلما قام ليلقى الدرع من على حصانه، ظهر له أنها امرأة، وأخبرته أنها ذات عفة وخلق، وباتت معه ليلتها، فتحدثا، وعلم أنها من أشرف العرب، فلما همت بالانصراف سألها

(١) لزوجة جهد - تزيين الأسواق

الزيارة، فأخبرته أن لها أخوة كُثر وأبا شديد الشراسة، فلم يستطع الذهاب إليها، حتى ازداد عليه التعب والسقم، فأشفق عليه الرجل وأخذه وذهب لأبيها وخطبها منه وأعطاه مهرا كثيرا، وتزوجا.

اللوحة الأدبية

وسيم بمحادثة النساء مغرماً، حافظ للطُرف والأخبار وشاعراً، انقطع يوماً ولم يعرف له مذهباً، فلقبه أخ من العرب فوق عرفة داعياً، فسلم عليه بعدما عرفه، وإن كان لم يبق منه إلا رسمه، فسأله الفتى عن حاله، فشكا إليه ما به، فقال: ادع الله، - عل الدعاء يزيل ما به -، فدعا الله يشكو خصيم يوم الدوحة، فسأله الصديق وما الدوحة؟، فقال: خرجت يوماً على فرس، وبينما أنا بين غدوة وروحة، اشتد الحر، فلاح لى فى الأفق دوحة، فقصدتها على استظل بظلها، فبدألى فارس يطارد صيدا ويقتله، ثم قصد الدوحة بعدما ظفر بصيده، فاقتربت منه وحادثته، فخلب عقلى صوته وجمال لفظه، فدعوته لشراب وشاركته، فشرب ثم قام ليصلح درعه، ويلقيه على فرسه، فتزحزح الدرع عن ثدى كالعاج شكله، فقلت: امرأة أنت؟، فقالت: ولكن أملك من العفاف أحسنه، ومن الخلق أجمله، فتحدثنا فسمعت من الحديث أجمله، ثم نامت فهمت بهجر العفة، ولكن المروءة تُمهّل، ثم همت بالرحيل، فقممت إلى الزيارة أسأل، فقالت: إن لى إخوة كثر وأبا ما أشرسه، ثم مضت وها أنا كما ترى، عليل ما أصابنى إلا الهوى، كلما اشتد بقلبى الجوى، أذهب إلى الدوحة فأشكو الهوى، وأذكر ما مضى، عل القدر يجمعنى بها، أو يحكم لى بحبها القضا، فقال: لا تدري لعل الله بها لك قد قضى، إنى ذاهب معك إلى أهلها، فما أوحش من ذهاب الحب سدى، فلما ذهباً أحسن الوالد اللقاء، فقال جئتكَ لبنتك خاطباً، فقال: مثلك للنسب مطلباً، فقال: لم أطلبها إلا للفتى، ابن أختكم، بعد أن عز عليه

اللقاء، فقال : حسيب كريم ولكن أخيرها بينكما، فأوماً بموافقته الفتى، ففوضت الأمر إلى صاحبه فبزواجهما قضى، ثم جاءه بعد زمان مضى، فقال: كيف وجدت يا فتى؟، قال: أبدت لي كثيراً مما كان عن عيني اختفى.

حسرة الفراق

١٤- عياش الكنانى

نَهَارِي نَهَارُ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ يَ اللَّيْلُ هَزَّتَنِي إِلَيْكَ الْمَضَاجِعُ
أُقْضِي نَهَارِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمُنَى وَيَجْمَعُنِي وَاهَمَّ بِاللَّيْلِ جَامِعٌ^(١)

رآها عندما خرج من الحى يتنزّه مع الفتیان، فأخذت عقله، فأتاها ليلاً، فأخبرته أن لها أخوة كثر، قد يقتلونه لو رأوه، فلم يأبه لقولها وعاد مرة أخرى، فعلم أهل الحى بذلك فأقسموا على تتبعه وقتله، فخرج خائفاً من مجيئهم، وجلس متربصاً بسفح الجبل، فأمرت السماء فكفوا عن ملاحقته حتى يجف المطر، وخرجت حبيبته، وصديقة لها ليحذرانه، ولتسعد ببقياه، فحسرت رأسها ليتخلل شعرها المطر، فلما رآهما عن بعد ظن أنها ممن يتبعانه من القوم، فأخرج قوسه وكان رامياً، فأصاب حبيبته في القلب، فلما صرخت صديقته نزل مسرعاً، فلما رآها قتيلة، قتل نفسه حسرة عليها.

(١) قيس بن الملوّح في ديوانه

اللوحة الأدبية

مساكين أهل الحب، لوعة في البعد، وخوف وأسى في القرب، وها هنا عبرات تسكب على قصة حب، إذ خرج فتية في الحى، يبتغون حاجة في القرب، فمرت جارية كأنها الشمس زالت عنها الحجب، أو البدر في ليل التمام والنور منه انسكب، فرمقته بنظرة من لحظيها، كأنها سهم أصاب الفتى بالقلب، فحاورها وتابعها فلم تحب، فأضناه في نهاره الصب، وأسقمه في ليله التعب، وراسلها فأبت فأضمرت النيران في القلب، وغلبه الشوق إليها والحب، فعاد يطلب الوصل منها والود، فقالت: اذهب فأخوتى لا يعرفون الحب، وإن رأوك اجتثوا من صدرك القلب، فقال: لا إلا إن وضعت يدك فوق الصدر، حتى أشفى من أوجاع القلب، ووضعتها فمضى، ثم عاوده في ليلة الصب، فعاد فقالت: اذهب، قال: إلا برشفة تطفئ لظى القلب، وتعيننى على ليال الصب، فمكنته، وقد كان لأن له منها القلب، وأخذها أضعاف ما به من وجد، وقالت: اذهب عنى ولا تعد.

وقد رآه أناس في الحى كثير، فقالوا مال هذا الفاسق يسترق النظر، والله لتتبعه ولنقطعن منه الوتر، فأرسلت إليه أن اهرب فقد أحاط بك الخطر، فجلس بعيدا يرتقب ويتبع الأثر، وأصاب الحى بالنهار المطر، فلما كان الليل ذهب السحاب وطلع القمر، فخرجت ومعها جارية لتراه وتمعن فيه النظر، وتحذرانه مما ينتظره من خطر، وهو في أعلى الجبل يرقب الخطر، وقد نشرت شعرها لما أصابه من مطر، فلما رآها ظن أنها ممن يتتبع خلفه الأثر، وكان رام بالسهم لا يخطئ النظر، فأطلق سهمه

فما أخطأ منها القلب، فلما صرخت نزل ومنها اقترب، فلما رآها بكى
وقال: ما هكذا يفعل المحب بمن أحب، ولا عيش في الدنيا إذا ما مات
الحب، فوجأ نفسه وعليها انقلب. آه من حسرة القلب، على فقد من
أحب، أهكذا يفعل الحب، حين يملك القلب، آه من ليال الصب.

الحبيبة الكتوم

١٥- مالك والحبيبة الكتوم

يَبْكُنِي الْيَوْمَ أَهْلُ الْوُدِّ وَالشَّفَقِ، لَمْ يَبَقْ مِنْ مَهْجَتِي إِلَّا شَفَا رَمَقِ
الْيَوْمَ آخِرُ عَهْدِي بِالْحَيَاةِ، فَقَدْ أَطْلَقْتُ مِنْ رَبَقَةِ الْأَحْزَانِ وَالْقَلَقِ^(١)

عشق الفتى ابنة عمه وهى لا تعشقه، فزوجت وتركت الحى،
فاعتزل الناس سنة لم يكلم فيها أحدا ولم ينطق بكلمة، ومر رجل بهم
فوجد الفتيات يحاورنه لعله ينطق، فلما سألهن أخبرنه، فعاده وواساه فى
مصيبته ، فنطق بعض الأبيات ثم مات، فلما مات فجعت عليه فتاة
كانت تحبه وتكتم ذاك الحب، حتى تفتت كبدها من ذاك العشق فلحقت
به.

(١) مالك صاحب القصة - مصارع العشاق

اللوحة الأدبية

عشق ابنة عمه وما عشقت، فتزوجت وإلى حيث يقيم زوجها
مضت، فبكى بكاء حارا عليها وما بكت، فاعتزل وحيدا لسنة من
الزمان مضت، كف فيها عن الكلام فصمت، فمر حاج على فتيات
يحاورنه، يقلن: تكلم فلا خير في من عن الكلام سكت، فسألهن عن
حاله، فقلن: لم ينطق منذ سنة مضت، وأخبرنه بالقصة وكيف تركته
الحبيبة ومضت، فنظره فإذا هو مضطجع بفناء البيت، كخيال لا ينطق
ولا يلتفت، فقالت أمه: يا مالك هذا عمك يعودك، فنظر إليه والتفت،
فواساه الرجل وعلى كتفه ربت، فتحرك لسانه وبالشعر نطق، ليبكنى
اليوم أهل الود والشفق، فلم يبق من مهجتي إلا آخر رمق، اليوم آخر
عهدي بالدنيا، فقد تركت الأحزان والقلق، ثم تنفس ومات بعدما
شهق، فإذا بجارية غضة فجعت عليه وبكت، ونظم لسانها شعرا
وأنشدت، ألا أبكي على حبيب أضناه السقام، وأضنى جسمه الكمد،
ألا ليته يعود فأشكو إليه ما أجد، ولا أرى بعد فراقه إلا أن تفتت منى
الكبد، ثم انثنت على كبدها، وإلى الموت مضت، آه يا ليتها أفشت الحب
وما تكتمت.

طُولُ السَّقَامِ وَأَضْنَى جِسْمَهُ الْكَمَدُ.	أَلَا أَبْكِي لَصَبِّ شَفِّ مُهْجَتِهِ
عِنْدِي فَأَشْكُو إِلَيْهِ بَعْضَ مَا أَجْدُ	يَا لَيْتَ مَنْ خَلَفَ الْقَلْبَ الْهَيَّوْمَ بِهِ
أَمْ أَنْتَ حَيْثُ يُنَاطُ السَّحَرُ وَالْكِدُ ^(١)	أَنْشُرُ تُرْبِكَ أَسْرَى لِي النِّسِيمُ بِهِ

(١) الفتاة العاشقة الكتومة - مصارع العشاق

وفاء زوجة

١٦- مالك الغساني وابنة عم النعمان بن بشير

ألا ليت شعري عن غزالٍ تركته، إذا ما أتاه مصرعي كيف يصنع؟
فلو أنني كنت المؤخر بعده، لما برحت نفسي عليه تطلع^(١)

مالك الغساني، فارس شجاع همام، تزوج من ابنة عم للنعمان بن بشير، وأحبها كثيرا وأحبته، وطلبت منه عدم الغزو، لشدة حبها له، فأبى وخرج غازيا، فأصابته طعنة علم أن فيها مصرعه، فبكى زوجته، وسأل كيف تصنع بعده، فبكته عاما ولم ينطق لسانها بكلمة، فقال أهلها الزواج خير لها، فأتى ملك من الملوك وخطبها، حتى كانت ليلة زواجها، بكت وأنشدت شعرا وفاضت روحها حزنا على بعلها.

(١) مالك الغساني - مصارع العشاق

اللوحة الأدبية

شجاع همام، لا يخشى مصرعه، إذا سمع بغزو أقلقه مضطجعه،
وهرع في أول القوم وسيفه معه، تزوج من جميلة رقيقة مكثت غير قليل
معه، فتحابا حبا جما ما أمتعه، واشترطت عليه البقاء، خوفا أن يلقى في
الغزو مصرعه، ولكن المقاتل يجافيه ساعة الغزو مضطجعه، فذهب
غازيا فأصابه جرح علم أن فيه مصرعه، فقال: ألا ليت شعري عن
غزال تركته، إذا ما أتاه خبرى كيف يصنع، فلو أنى كنت بعده، لكانت
نفسى عليه تطلع، فلما علمت بكت عاما، كلما غابت الشمس وكلما
تطلع، فقالوا: زوجهها فالزواج للنساء أنفع، فجاء ملك من ملوك
الأرض إليها يهرع، فنطق لسانها والناس تسمع، بشعر تمدح فيه مالكا،
وترثى فيه مصرعه، فلما انتهت قالت: ليس غيرك لى يا مالك ينفع، ثم
شهقت وماتت، وعيونها على مالك تدمع، وعيون القوم عليها تدمع.

من لم يعرف اسمهما

قسوة الفراق

١٧- الغلام وجارية المهدى

ولقد ذكرتكَ والسيّاط تنوشنى عند الإمام وساعدى مغلول
ولقد ذكرتكَ والذى أنا عبده والسيف بين ذؤابتى مسلول^(١)

غلام وجارية شبا معا وتحابا، ولكن فرق بينهما أن اشترى المهدى الجارية لتكون من جوارى القصر، ولكن الغلام لم يستطع فراقها، فطاف حول القصر لعله يراها، فلما رآته أدخلته عليها، فقام البعض بإخبار المهدى بذلك، فأتى إليه، فاعترف الغلام بجرمه، فجلده حتى وصل إلى عشرين جلده، ثم قرر أن يقتله، فقال الغلام قبل موتى أريد أن أنشد من الشعر القليل، فسمح له المهدى بذلك، فأنشد الشعر، فبكى من شعره كل من كان موجودا عند المهدى، فعفا عنه المهدى وجمع بينه وبين حبيبته.

(١) الغلام صاحب القصة وهو مجهول الاسم

اللوحة الأدبية

غلام له من العمر القليل، أضناه الحب، وفرق الزمان بينه وبين الخليل، حين ابتاع المهدي جارية لأمه، كانت إلى الغلام تميل، فجزعه البعد وابتغى القرب، وما له لقصور المهدي سبيل، والمحـب لأمر الهوى ذليل، وبذل النفس في سبيل الحب قليل، فطاف بالقصر عله يلقى الحبيب، أو بنظرة من عينه ينول، فألفته خارج القصر ينشد الشعر ويحول، فأدخلته فأسرع الوشاة إلى الأمير، وقالوا: غلام في غرفة الجارية يصول، فأتاه وقال ماذا في جرمك هذا تقول؟، قال: أحببتها ولم أقو على فراقها، فجئتها وأعرف بأني على جرمي لمقتول، فجاء بالسياط وجلده عشرين، ثم قال ما لي بعذابك وأنت لا محالة مقتول، فقال الغلام: أعلم وإن هذا على عظم جرمي لقليل، ولكن قبل موتى دعنى أنشد من الشعر القليل، فقال الأمير: أسمعنى ما تقول، فقال:

ولقد ذكرتـك والسيـاط تنوشنى عند الإمام وساعدى مغلول

ولقد ذكرتـك والذى أنا عبده والسيف بين ذؤابتى مسلول

فبكـا من قوله الجـلاد والسيـاف والأمير، وقال: اذهب فهى لك، فما للمحبين غير الجمع سبيل.

١٨- سيد العاشقين

يهواك، ما عشتُ، الفؤادُ، فإن أُمْتُ^(١) يتبع صدائي صدالك بين الأقبر

عشق رجل من ولد سعيد بن العاص حارية بالمدينة كانت تغنى،
فهام بها ولم يخبرها بذلك رغم طول هيامه، وفي يوم من الأيام قرر أن
يخبرها بحبه لها، فاقترب منها وألقى عليها بيتا من الشعر يسألها فيه عن
حبها، فأخبرته بنفس طريقته أن بها ضعف ما به، وانتشر خبرهما في
المدينة، وكان ذلك في عهد عمر بن عبد العزيز، فاشتراها له وأهداها
إليه، فمكثت عنده سنة ثم ماتت، فلم يلبث بعدها كثيرا حتى وافته
المنية كمدا عليها، فقال أبو السائب المخزومي: حمزة سيد الشهداء،
وهذا سيد العشاق.

(١) جميل بثينة

اللوحة الأدبية

عاشق ولهان، أضناه الكتان، لمغنية صوتها كطير يشدو بين أفنان،
فهام بالروح وسلم بالقلب، والعقل حيران، أيوب بحبه أم يؤثر
الكتان، فأثر البوح وإن ظن بعده الحرمان، فأناها والبدر في ليلة التمام،
فقال: أتجزون بالود المضاعف مثله للولهان، فقالت: للذي ودنا جزاء
الضعف وللبادي أجران، ولو أظهرت ما بى لملاً الأرض والسماء
وفاض على الخلان، فعلم الأمير بحبهما، وهو خامس الراشدين،
فاشترها وله أهداها، ليصل الود بين المحبين، فما لبثت عاماً إلا وأتاها
اليقين، ففاضت روحها لرب العالمين، فلم يمكث بعدها من الأيام
ثلاثين، كمدا وحزنا على الفراق المبين، ثم لحقها وهكذا وفاء المحبين،
فقالوا: حمزة سيد الشهداء، وهذا سيد المحبين، وقد فاق بحبه
الصالحين، فنحروا على قبره من الرقاب سبعين.

النخاس الكريم

١٩- الناسك والجارية

أَللَّهُ يَا ظَبِيَّةَ خَيْفِي مَنِي	فِي مُحَرِّمٍ لَوْلَاكَ لَمْ يُحَرِّمِ
وإِنَّمَا حَجَّ لِيَلْقَاكَ فِي	جُمْلَةٍ مَن يَلْقَاكَ فِي الْمَوْسِمِ
أُبَحِّثُ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ مَن	قَتَلَ حَنِيفٍ نَّاسِكٍ مُحَرِّمِ
رُدِّي عَلَيْهِ قَلْبَهُ تُؤْجِرِي	وَلَا تُبَيِّحِي دَمَهُ تَأْتَمِي ^(١)

فتى من الناسك، سمع يوما بجمال جارية بمكة يأتى الناس إليها من كل صوب فيحجون إلى البيت، ثم يزورون النخاس ليروا الجارية ويجزلوا فيها العطاء، وقد رآها يوما مصادفة، وذلك في يوم من أيام عرضها على الناس، فأحبها حبا شديدا فلما حجبها النخاس مرض الفتى واعتزل الناس، فزاره صديقه يوما وعرف ما به، فلما خرج من عنده ذهب إلى النخاس فأخبره ما بالفتى، فعاده النخاس فلما رآه على هذه الحالة، خرج من عنده وزين الجارية كما تزين في أيام العرض،

(١) ابن السراج - مصارع العشاق

وخرج إلى السوق وأشهد الناس على أنه وهب الجارية لذاك الفتى الناسك، فلامه الناس، فقال: لقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة ٣٢) وقد أشرف الفتى على الهلاك وقد أحْيَيْتَهُ بِالْجَارِيَةِ، وانتظر عند الله أجرى وثوابى.

اللوحة الأدبية

ناسك سمع يوما بجمال جارية، لا يخرجها النخاس إلا في الأيام الغالية، أيام الحج حيث الناس من كل صوب آتية، ليروا جمالها ويذلوا فيها النفائس الغالية، وصاروا يحجون للبيت ثم إلى حيث الجارية، ويأبى النخاس بيعها، ففى بيعها خسارة عاتية، فأقبل الناسك وأيام الحج ماضية، فرآها يوما في أيام عرضها، ولم يدر بأنها هى، فوقع في قلبه لها حب، فقرر أن يأتى في الأيام التالية، فلما انتهى العرض حجبت، ولم يدر الناسك أين هى، فحزن حزنا شديدا، ومرض مرضا يذيب الجسم، ويذهب بالعافية، واعتزل الناس وقاسى البلاء في الأيام الخالية، صامت اللسان حزين القلب والعين باكية، حتى جاء الموسم فخرج ينظر الجارية، فيذهب ما به وتعود العافية، فإذا احتجبت عاد لمرضه، حتى صار كعجز النخلة الخاوية، فرق له صديق وسأله ما بك؟، قال: والله ما أدرى ما بى، إلا أنى أشفى حين أرى الجارية، فإذا حجبت زالت عنى العافية، ولا أرى غير أنى أحببت الجارية، وإن كانت لا تدري ما بى، وما أرى من وصول إليها واليد خاوية، فرأيت اعتزال القوم وانتظار الرحمة، فرحمة الله في الكون سارية، فلا تخبر أحدا ولا تذيع أسرارى،

فخرج الصديق إلى مولى الجارية، وأخبره القصة كما هي، فعاده الرجل فوجده كخرقة بالية، فعاد لداره وأحضر عطورا وثيابا غالية، وكما في الموسم قلدها الجارية، وخرج إلى السوق ونادى بأصوات عالية، ألا أيها الناس اشهدوا، أني وهبت للفتى الناسك تلك الجارية، وقد أشفى على الموت، ودواؤه رؤية الجارية، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة ٣٢) فهذا هو له وأنا أنتظر عند الله مالى.

دير المجانين

٢٠- المجنون والعليلة

قالوا جُنَّنتَ بمن تهوى فقلْتُ لهم ما لذَّةُ العيشِ إلَّا للمجانين
هذا جنونى وهاتوا من جنت به إن كان يسوى جنونى لا تلومونى^(١)

مر مار بدير للمجانين، فوجد فتى يجلس فى هدوء صبح الوجه
وضاء، فسأله ألك حاجة؟ فقال: طعام، فأتى له بالطعام، وقال: اطلب
ما تشاء، فأمره أن يذهب إلى أحد البيوت ويقرأ عليهم بعض أبيات من
الشعر، ففعل، فخرجت سيدة عجوز وردت على هذا الشعر بأن حبيبته
عليلة، فعاد فأخبره فلما علم مات فى الحال، فعاد الرجل إلى البيت
فوجد أن حبيبته قد ماتت أيضًا.

(١) الشبلى - مغناطيس القلوب

اللوحة الأبية

محب ولهان في دار المجانين، يبكى هواه فمن ذا على الحب يعين، إن
اشتكى الهوى قالوا: مجنون، وإن بكى قالوا: عليل، فكتّم هواه ولم يبح
إلا لقليل، فعاده يوما محب للمساكين، فقال: ألك حاجة، فقال: طعام
فقد سئمت طعام المجانين، فقال الرجل: والله ما أنت بمجنون، فاطلب
تجب وإنى على الفعل أمين، قال: اذهب إلى درب الدهاقين، واطرق
الباب على اليمين، وقل: أرسلنى إليكم المجنون، يسأل عن حالكم
ويقول: مجنونكم من ذا يحله من الجنون، ففعل فخرجت عجوز أتت
عليها السنين، ثم غابت وخرجت للزائر تقول: قل له: عليكم من ذا
أعله يا مجنون، فأخبره فشبه ومات المجنون، فعاد إلى الدار فسمع
صراخا وعويل، فقال من؟ قالوا: ماتت حبيبة المجنون.

ذكاء ملك

٢١- الأندلسي وجاريته الحسناء

بَنَّا مِنْ جَوَى الْأَحْزَانِ وَالْحُبِّ لَوْعَةً تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الشَّفِيقِ تَذُوبُ
وَلَكِنَّمَا أَبْقَى حَشَاشَةَ مُعْوَلٍ عَلَى مَا بِهِ عَوْدٌ هُنَاكَ صَلِيبُ
وَمَا عَجَبٌ مَوْتُ الْمُحِبِّينَ فِي الْهُوَى وَلَكِنْ بَقَاءُ الْعَاشِقِينَ عَجِيبٌ^(١)

أندلسي باع جاريته الحسناء، فلما ذاق بعدها الفراق تحسر عليها وكادت نفسه تخرج معها، فأراد أن يستردها فأبى المالك الجديد، فذهب إلى الملك يشفع له، فأتى الملك بالرجل، فأبى الرجل أن يبيعها، وقال أنا أشد حبا منه له، فلما رأى الأندلسي رفض الرجل، ألقى بنفسه من القصر، ولكن شاء القدر أن يعيش، فأتى به الملك فسأله، فقال: لا حياة لي بعدها، فقال: الملك للمالك الجديد، لقد برهن هذا الرجل على حبه، فإن كنت مثله فألقى بنفسك، وإلا اشتريناها منك فأبى الرجل، فحمله رجال الملك ليلقوا به، فقال: لقد طابت نفسى بها له فليأخذها، فدفع الملك له حقها وردّها إلى الرجل.

(١) لشاعر مجهول في قصة مع عبد الله بن عباس - تزيين الأسواق في أخبار العشاق

اللوحة الأدبية

عاشق لم يدر بأنه يحب، لقربه من حبيب القلب، حتى أصابه في ماله فقر وجذب، فباع جارية له عليها تأتيه بها ذهب، فلما فارقها تبعها نفسه، وعقله خلفها ذهب، فقال: للمشتري خذ ما أملك واتركها، فقال: لا ولو كيلتها بالذهب، فاستعان عليه بأهل بلده، فلم يسعفه منهم أحد، فقال: من يعينني على مصيبتى، ونفسى له أهب، فقالوا: له اذهب واطلب عدل الملك، فذهب للقصر ساعيا إلى الملك، فأدخله في عليائه وقال: اشرح لى ما بدا لك، فقال بعث روحى إلى غيرى ولها امتلك، وما استطعت ردها منه فجئت إليك عنها أسألك، فإما تردها لى وإما يأخذنى إلى خالقي الملك، فرق لحاله الملك، وأحضر المشتري، وقال: بالله أسألك، أن ترد له جاريته ولك ما شئت من الملك، فقال: والله طابت نفسى بها ولن أبيعها حتى ولو طلبها الملك، وأخشى إن تركتها اليوم، غدا استغيث ليعيدها إلى الملك، ولا يستطيع أحد أن يأخذ منى ما أمتلك، فاعتذر إلى الأندلسى الملك، وقال: يا هذا إن العدل لا يتقتضى أن أردّها لك غصبا ممن لها يملكك، وها قد رأيت سعيّنا، فاذهب وكان الله معك، فقام وألقى بنفسه من العلياء، فارتاع عند رؤية ذلك الملك، فابتدره الغلمان فوجدوه سليما، وأتوا به إلى الملك، فقال: لم فعلت هذا؟، فقال: فقدت روحى، وهل يعيش من غيرها الجسد، فقال الملك: الله أكبر، ظهر الحكم لمن يجتهد، فقال: للمشتري ألم تقل أنك أكثر حبا لمن تملك، فقال: نعم أيها الملك، قال فإن صاحبك أبدى محبته وألقى بنفسه فداء، ولولا الأجل لم يعد، فإن كنت أكثر حبا فافعل فعله،

فإما إنتهى أجلك، وأما تنعمت بمن تمتلك، وإن لم تفعل نردها له،
ويبذل لك العطاء الملك، فذهب إلى العلياء ثم تراجع القهقري، فأرادوا
أن يلقوا به فتيان الملك، فقال: إن ألقيتموني أمت، هي له فليهنأ بها،
وأنعم بحياتي أيها الملك، فاشتراها منه وردها إليه، فتعانقا وانصرفا،
وضحك من حبهما الملك.

٢٢- العاشق المظلوم

لأخرجن من الدنيا وجههم بين الجوانح لم يشعر به أحد
ألقيتُ بيني وبين الحُزن معرفة لا تنقضي أبداً أو ينقضي الأبد^(١)

هو فتى صغير عشق ابنة عمه وعشيقته، ولكن لم يوافق أبوها على الزواج والجمع بينهما، بل واشتكاه إلى الأمير حتى يبعده عنها، وادعى بأنه يسيء الأدب وينطق بالفحش، فحبسه الأمير برهة ثم أطلقه، فلم يقترب من الفتاة مدة من الزمان، ولكن للحب أحكام، فتسلل إليها يوماً، فأمسكوه وأخذوه إلى الأمير وادعوا بأنه سارق، فاعترف بذنبه حتى لا يفصح ابنة عمه، فلما هموا بأن يقطعوا يده، أرسل أخوه إلى الأمير وقد كان من صحبته، وأخبره بالقصة، فتعجب الأمير من الفتى الذي فضل حبيبته على يده، فزوجها له على كره من أبيها، فكان الناس يدعونه بالعاشق حتى وافته المنية.

(١) بشار بن برد

اللوحة الأدبية

صغير عاشق، بابتة عمه عالق، وهى له كذلك، ولا تريده أن يفارق، وعلى الزواج أبوها لم يوافق، واشتكاها إلى الأمير، وقال: فى الجوار فاسق، يسىء الأدب، وبالفحش دوما ناطق، فحبسه الأمير حيناً، ثم أطلقه، فلم يدنو منها مدة ولم يقارب، ولكن الحب دوما على العقل غالب، فتسلل إليها فلما رآته افترشت له النارق، ولم يقترب منها أبدا ولم يعانق، فشعروا به وقالوا: سارق، واصطحبوه إلى الأمير ومعه الشاهد، فأقر بالجريمة ولم ينكرها، فكل ما غير الفضيحة زاهق، فلما أقروا بقطع يد السارق، أرسل أخوه إلى الأمير، وهو عنده صادق، لقد علمت ما منا من سارق، ولكنه مظلوم مهموم عاشق، فأرسل الأمير يتبين أمر العاشق، فعلم الأمر، فأحضره فقال: لم فعلت ذلك؟، قال: إنى فى عدل الإمام واثق، فزوجها له الأمير، وأبوها له كاره، وقال: ليس أهلاً لذلك، فقال: بل هو كذلك نعم الفتى من بذل نفسه من أجل حبه، فظل إلى أن مات وهم يدعونه بالعاشق.

عشق الملوك

ويبقى الحب ٢٣- أمّحتب وتى

وقد قادت فؤادي فلى هواها وطاع لها الفؤاد وما عصاها
خضعت لها فى الحب من بعد عزّى وكلّ محبّ للأحبة خاضع^(١)

أمّحتب، ملك من أعظم الملوك الذين جلسوا على عرش مصر،
وتى فتاة من العامة لم تكن لها أصولا ملكية، وقد وقع حبها فى قلب
أمّحتب، وأحبته مثلما أحبها، ولكن التقاليد تمنع زواج ابن الملك من
العامة، ولكن أمّحتب لم يتنازل عن حبه لها، بل كاد أن يتنازل عن
العرش من أجل حبها، فلما اعتلى العرش، غير التقاليد التى تمنع الحب
وتقيده، وتزوج من محبوبته تى، وجلسا معا على العرش، وساد العدل
فى المجتمع بسبب حب أمّحتب وتى، وصارت قصة حبهما من أعظم
قصص الحب فى التاريخ.

(١) الأصوص

اللوحة الأدبية

هو ابن ملك ليس ككل الملوك، تدين له البلاد ويركع له العبيد،
وهى جميلة رقيقة ذات عقل رشيد، ولكنها من العامة، والعامة فى عرف
الفرعون عبيد، عشقها والعشق ما له حدود، ولا تمنعه سدود، وإنما
للملوك قواعد وتقاليد، فكيف لابن ملك بل إله؛ أن يعشق من العبيد،
فصارحها بحبه جهارا، فقالت: لا يجرى داخل دم الملوك، فقال: أنت
فى دمي، والحب يبقى والمملك يبيد، بالحب تنبض الحياة والحب سر
الوجود، والمملك يفنى والحب إلى خلود، قالت: والعرش؟، قال: بغير
حبك لا يفيد، فلما اعتلى العرش نقد التقاليد، وتزوج الملك فتاته وإن
كانت من العبيد، واعتليا الحكم سويا، وبحبهما تساوى السادة بالعبيد،
وكان عهدهما عهدا للخير واليمن والرخاء الشديد، وغدت قصة حبهما
إلى بقاء وخلود.

الملك البكاء

٢٤- عمرو بن كعب والعقيلة

إِذَا جَنَّ لَيْلِي فَاضَتْ الْعَيْنُ أَدْمُعًا عَلَى الْخَدِّ كَالْغُدرَانِ أَوْ كَالسَّحَابِ
أَوْدُ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَاللَّيْلِ قَائِلٌ لَقَدْ شُدَّتِ الْأَفْلَاكُ بَعْدَ الْكَوَاكِبِ^(١)

عمرو بن كعب، كان حفيد الملك النعمان، فلما زهد جده في الملك كفله عمه، وهناك قابل ابنة عمه العقيلة، فأحبها وعشقها، فلما أراد خطبتها طلب أبوها مهرا يليق بملك، فحزن عمرو، ولكن فكر وشد الرحال إلى ابن كسرى ليطلب منه المهر لما لأبويهما من تقارب في الملك، وفي الطريق قابله عارف، فأخبره بأنه لن يتم زواجه من العقيلة، وكان أبوها قد زوجها بالفعل أثناء رحلته، فأبت على زوجها، فأعادها إلى أبيها وهي مريضة بسبب حبها لعمرو، فلما عاد عمرو، حجبت عنه، فكان دائماً يُشاهد وهو يبكي، فرأوه مرة ضاحكاً فقالوا: ما بك؟ فقال: غدا ألتقي العقيلة، فلما كان الغد إذا به ميتاً، فلما ذهبوا النعيه لعمه، وجدوه قد فرغ من مواراة العقيلة.

(١) عمرو بن كعب تزيين الأسواق

اللوحة الأدبية

ملك جار عليه الزمان بأيامه الجميلة، وفارس من فرسان العرب
بصفاته النبيلة، كفله جده النعمان صغيراً، فبقى في الملك أياماً طويلة،
فلما زهد النعمان الملك، هان أمره وما باليد حيلة، فكفله عمه وهناك
تلاقى والعقيلة، أعلم نساء العرب في الأحوال وفي الأدب، وهى جد
جميلة، ابنة عم له فهى في الشرف والنسب أصيلة، فشغف بها حبا،
واشتد غرامه ولعا، وباتت ليلاليه عليه طويلة، فخطبها إلى عمه، فأبى إلا
مهرأ يعجز عنه صاحب حيلة، فُغم وهُم وأحس بضياغ العقيلة، فقالوا:
أما لك عند الملوك حيلة، وجدك صاحبهم، والملوك أصحاب فضيلة،
فاذهب وأخبرهم بأن العقيلة فتاة للملوك سلية، وفي النساء جميلة، وفي
الآداب والعلوم عليمه، وروحك بغرامها علية، فلن يردوك إلا بمهر
العقيلة، فهم بابن كسرى يذكره بأيام جديهما الجميلة، وصفاتها النبيلة،
فالتقى بعارف فأخبره بأن ما بيده حيلة، وأنه سيعود مردوداً فلا سبيل
إلى العقيلة، فعاد فوجد عمه قد زوج العقيلة، فهام على وجهه في
الصحراء عليلاً.

وعز عليها فراقه، وما نسيت ذكرى الليالي الجميلة، وأبت على
زوجها وإن كانت له حليلة، فما قربها وما مكثت معه إلا قليلاً، فعادت
إلى أبيها بكاءً علية، ومضت أيام وما اجتمع عمرو بالعقيلة، وما
شوه إلا باكياً ينشد: جن الليل وفاض الدمع، ولا أعرف للحبيب
سبيلاً، فرأوه يوماً ضاحكاً، فقال: الليلة نلتقى لقاء جميلاً، ثم شفق
شهقة ففاضت روحه، واتخذت إلى ربها سبيلاً، فلما نعوه عمه، وجدوا

العم يوارى العقيلة، هكذا المحبون لا يرضون بغير الجمع بديلا، فإن
عز في الدنيا، فالآخرة له سبيلا. فيلكرمهما الرب، ويسعدا عنده بالحب،
آه يالا حرقه القلب وآلامه الكثيرة.

الخلوة الأخيرة

٢٥- يزيد بن عبد الملك وحبابة

كفى حزنا بالواله الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة فقرا^(١)

يزيد بن عبد الملك تولى الملك بعد عمر بن عبد العزيز، وقد كانت له جارية يقال لها حبابة، اشتراها بأربعة آلاف من الدراهم، وولاه بها حبا، وأعطاهها كل ما تريد، فكانت دائما في مجلسه، وأراد أن يختلي بها يوما بعيدا عن الأعين، فأخذها في قصر له بعيدا عن الجوارى والعبيد، وجلسا معا تداعبه ويداعبها، فأراد أن يلقيها حبة من العنب، فوقفت في حنجرتها فماتت من فورها، فجلس بجوارها ثلاثة أيام يبكيها ولا يبرح المكان، حتى أخذوها منه عنوة، ودفنوها في قبرها، لم يبرح القبر حتى مات بجوارها.

(١) جارية يزيد بن عبد الملك

اللوحة الأدبية

ولدنيا من قصص العشق المزيـد، وأجملها عشق الملوك للجوارى والعبيد، وها هي قصة عشق بين حباة ومولاها يزيـد، حيث اشتراها بأربعة آلاف أو يزيـد، وأغـدق عليها من النعم المزيـد، وقربها فكانت من مجلسه دوما غير بعيد، وحيث كانت كان بصره، فعنها أبدا لا يجيد، فتحابا وتألـفا وتقاربا في هـناء وسعود، فما عـكر صفوهما سوى كثرة الجوارى في القصر والعبيد، فنشدا الخلوة في قصر عن الأعين بعيد، ليهنأ بها وتمناً به، ومن شهد رضاها يستزيـد، ولم يدريا بأن الزمان قاس وعنيد، فأخذت تتمايل وتعنى له وتعيد، ولم تدر بأن الموت بها يحيط، فألقمها بحبة من عنب فوقفت في حلقها، وانتهى بموتها اليوم السعيد، فخفق قلبه، وطار لبه، وأقام بجوارها ثلاثة أيام ونظره عنها لا يجيد، وبكى بكاءً مريـراً شق منه الحدود، فقالوا: شمت العدا بنا يا يزيـد، ثم أخذوها منه كرها، ووضعوها في نعشها إلى دارها الجديد، فأقام عند قبرها ولم يبرحه ينشد أمله المفقود، حتى حملوه إلى قصره، فلم يخرج منه إلا في نعشه، فمات كمدا على الحب وحسرة على الحبيب، آه من ألم الفراق الشديد، وذكرى حبيب لن يعود.

هناك وكمد

٢٦- المعتمد واعتماد

حب اعتماد في الجوانح ساكنٌ لا القلبُ ضاف به، ولا هو راحل^(١)
في أحد الأيام، وبينما كان المعتمد بن عباد يتنزه مع وزيره ابن عمار
على ضفاف الوادي الكبير قال المعتمد واصفا الماء المتموج وطالبا من
ابن عمار أن يميز: «صنع الريح من الماء زرد». وأمام صمت ابن
عمار الذي طال، أتمت اعتماد قول المعتمد "أي درع لقتال لوجهد".
فأعجب المعتمد بجهاها وسرعة بديتها فلم يتخذها له كجارية بل
تزوجها ورفع من شأنها ليمنحها الجميع لقب السيدة الكبرى بعد
ذلك.

أحب المعتمد زوجته اعتماد الرميكية فأسرف في تدليلها. وفي أحد
الأيام رأت اعتماد فلاحات يمشين في الطين و ينشدن بنشاط وفرح
وحيوية، فاشتتهت المشي في الطين، فأمر المعتمد أن يصنع لها طينا من
الطيب. سُحقت كميات هائلة من الطيب والمسك والكافور وماء الورد
ووضعت على هيئة عجينة حتى بدا كالطين بساحة القصر، فخاضته مع

(١) المعتمد

جواربها . وحدث أن غاضبها المعتمد ذات يوم ، فأقسمت أنها لم تر خيرا منه قط ، فقال لها : ولا يوم الطين ؟ وجرى هذا القول مثلا للمرأة تنكر على زوجها فضله عليها. شاركت اعتماد زوجها المعتمد عز الملك وذل الأسر فصبرت وحاولت أن تخفف من وطأة الأسر والنفي على زوجها المعتمد ابن عباد وذلك بإضافتها نوعا من المرح فمرة قالت الرميكية لزوجها المعتمد : «مالنا قدرة على مَرْضاتك في مَرْضاتك». عشقها المعتمد فاشتق حروف لقبه «المعتمد» من حروف اسمها «اعتماد». في آخر حياتها بالمنفى ، مرضت اعتماد فتوفيت، فلحق بها المعتمد إذ وافته المنية بعدها بأيام معدودات.

اللوحة الأدبية

شاعر رقيق وابن ملك، يمشى بين العامة وبهم يختلط، وعلى ضفاف النهر يوما، رأى الموج بفعل الريح يضطرب، فقال منشدا: «صنع الريح من الماء الزرد»، فأجابت: «وأى درع لقتال لو جمد» وكأن الجواب من النهر قد خرج، فألهب قلبه بالشوق واتقد، فإذا بحوراء لجماها القلب ينقبض، فافتتن بجماها وأرسل إليها خاطبا، لعل نيران الشوق بقرها تنخمد، ثم عاش بها ولها وعنها ساعة لم يفترق، حتى ولى العرش بعد المعتضد، فاشتق له من حروفها اسما، فمن اعتماد كان المعتمد، ورزق منها الكثير من الولد، وعاشا في هناء وظنوه يدوم للأبد، حتى جاءه ما لم يكن يحتسب، فوقع في الأسر وذهب المال والولد، وماتت من ذل الأسر اعتماد، ثم لحق بها المعتمد، بعد أن مات من الحزن عليها والكمد.

عشق الملوك

٢٧- ابن بهرام وابنة المرزبان

تَهْ دِلَالاً فَأَنْتَ أَهْلٌ لِّذَاكَ وَتَحَكَّمْ، فَالْحُسْنُ قَدْ أُعْطَاكَ
وَلَكَ الْأَمْرُ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ فَعَلِيَ الْجَمَالُ قَدْ وَلَاكَ^(١)

كان بهرام ملكا عظيما، وكان ابنه لا يتشهى الملك، ولا يعرف قيمته، ويأبى التعلم، فسأل أحد معلميه عنه يوما فقال: إنه يهوى فتاة وهى سبب ما هو فيه، ففطن الملك، وكان رجلا حكيما، فذهب إلى والد الفتاة وكان مرزبانا، والمرزبان هو من رؤساء الفرس، وهو دون الملك، فقال: إنى أريد أن أزوج ابنى لابنتك، ولكن عليها أن تفعل ما أخبرها به، فأخبرها أن ترأسله وتطمعه فى الوصل، حتى إذا جاء الوقت قالت: إنى لا أصلح إلا للملك، ففعلت، فلما قالت له ذلك، أخذ يجتهد فى تعلم كل فنون الملك حتى أصبح أحد أعظم الملوك، فقال الأب: كذلك يفعل الحب، وزوجها له وعاشا سعيدين.

(١) عمر بن الفارض فى ديوانه

اللوحة الأدبية

ملك من عظماء الزمان، ذكاء وحيلة لا يغلبان، وابن لا يعى من الملك شيئا، ولا يعنيه الرفعة والمكان، حامل النفس سيء الأدب سليط اللسان، لا ينفعه علم ولا حكمة، ولو أن معلمه الحكيم لقمان، وقد جمع له علماء الزمان، فسأهم أبوه السبب، فقالوا عشق ابنة المرزبان، فقال والله قد رجوت فلاحه الآن، فالحب خير معلم للإنسان، فذهب إلى المرزبان، وقال: أكتمك سرا لا تبوح به الآن، فقال أسريا ملك الزمان، فأخبره بحب ابنة لابنته، وما عليه من الهوى والهذيان، وأنها له، ولكن ليس الآن، فهلا جعلتها تراسله بغير رؤية، وتغريه بالوصل إن ضمن الأمان، فإذا استحكمت طمعه تجنت عليه بالهجران، فإن استعبتها قالت: ابنة المرزبان لا تصلح إلا للملك من ملوك الزمان، وشجعه المعلم على المراسلة والاطمئنان، ففعل المعلم وفعل المرزبان، فلما انتهت تجنت على الفتى وآثرت الهجران، فلما علم ندم واستدرك ما كان، فتعلم الأدب والحكمة وتخلق بأخلاق الفرسان، وأصبح عالما حكيما من حكماء الزمان، ثم سأل أباه خطبتها، فزوجه إياها واجتمع الحبيبان، فقال أبوه: هي أفضل الناس عليك في الامتنان، ولولاها ما أصبحت من الفرسان، فزدها بك تشريفا وحبا، ولا تبخل عليها بالحنان، واعلم أن الحب يغير حياة الإنسان، فلولا لاندثر اسمك، ونسيك الزمان، وغدا بالحب تصبح من ملوك الزمان، فعش سعيدا بالحب وبابنة المرزبان.

اليتيمة العاشقة

٢٨- أبرويز وشيرين

روحي للقاءك يا مناهي اشتاقتُ والأرضُ عليّ، كاحتياي، ضاقتُ
والنفسُ لقد ذابتُ غراماً وجوى في جنبِ رضاك، في الهوى، ما لاقْتُ^(١)

أبرويز هو ابن الملك، وشيرين فتاة يتيمة تربت في دار أحد الفقراء بجوار الملك، وكان الفتى يدخل الدار ويلعب ويلهو معها، فلما شب، حاول الرجل أن يمنعها خوفاً من تعلق الفتى بها وغضب الملك، فلما رآها يوماً أخذت من الصبي خاتماً؛ أمر أحدهم بإلقائها في الفرات، وترجته الفتاة ألا يفعل ورق لها الرجل، فلقاها بحث تستطيع النجاة، وعاد فأخبر وليها بغرقها، ونجت شيرين واحتمت بدير للرهبان، حتى آل الملك إلى أبرويز، ومر عليهم رسله فأخبرتهم بأنه أمة للملك، فأخبروه فأمر بإحضارها وكافاً من جاءه بهذا الخبر، وبقي معا حتى قتل أبرويز، وروادها الملك الآخر عن نفسها فأبت، فاتهموها بالفجر

(١) عمر بن الفارض في ديوانه

والفسوق، فأخبرته أنها توافق بشرط تسليمها قتلة زوجها، وتبرئتها من التهم، فوافق، فلما تسلمت قتلة زوجها قتلتهم شر قتلة، وأخبرت الملك أن عليها عهدا توفيه لزوجها، فأمر بفتح صندوقه، فدخلت على إبرويز في صندوقه وشربت السم الذي كان في الخاتم، ونامت معه تحتضنه حتى ماتت.

اللوحة الأدبية

وما زلنا ننتقل مع المحبين، في قصة عجيبة من قصص العاشقين، فراق ثم لقاء وحب ثم حزن وأنين، إنها قصة أبرويز وشيرين، وقد شبت يتيمة عند فقير، بيته بجوار الملك، وهو على الجيرة أمين، يأتيه الفتى وهو صغير، فيدخل البيت ويهازح شيرين، فتقاربا وتداعبا غير عابئين، بالملك أو بالرجل الأمين، فقال: يا فتاة إن لم تتركه تهلكين، فأنتى لفقيرة من ابن ملك مكين، حتى أخذت يوما خاتما في أصبعه الصغير، فخاف الرجل وقرر التخلص من شيرين، فأمر بحملها إلى الفرات، وقال: الآن بفعلتك تغرقين، فحملوها إلى الفرات فتوسلت للحاملين، أن دعوني ولا تغرقون، فقالوا: حلفنا وما نحن بحاثين، ما لنا بد وسوف تغرقين، قالت: فاقدفوني في ماء رقيق، فإن غرقت فذاك وإن نجوت فقد فعلتم ما تؤمرون، ففعلوا فتخلصت من الماء وأتت بعض الرهبان، في دير على الفرات ماكثين، فقالت: لله وهبت نفسي فلا تردون، فدخلت الدير مع الرهبان، حتى آل الملك للفتى، وعلمت بذلك من رسله شيرين، فأعلمتهم أنها أمة للملك، وإن أخبروه عنها سر، وأعطت الخاتم علامة لرسول أمين، فلما ورد الرسول وأخبره، أمر له بهال عظيم، وقال أنت عندنا اليوم مكين أمين، وأرسل المواكب تأتيه بشيرين، وكانت في الجمال بنساء الزمان أجمعين، واجتمع الحبيبان بعد حين، وبقيتا معا حتى قتل الملك، وضاعت الأرض بشيرين، وراودها من بعده فأبت، وامتنعت عن الطالبيين، فرموها بالفجور المبين، واغتصبوا مالها وضياعها، وقالوا هي من الآثمين، فقال الملك: مالك

بد إما الهلاك وإما منى تتزوجين، فقالت: أفعل إن سلمت لى القاتلين، وبرأنى علماؤك من الفجور المبين، ويعرف ذلك العالمين، فقال لها: لك ما تريدين، فسلمها القتلة، فقتلتهم أجمعين، وبرأها على العالمين، ثم قال: هل بقى شىء مما تريدين، قالت: نعم، وديعة أودعنيها الملك، إن تزوجت أردھا كحامل للسر أمين، قال إذا نفتح الصندوق وإليه تدخلين، فدخلت صندوق الموتى شيرين، وشربت سما كان فى فص خاتمها الثمين، واحتضنت أبرويز، وماتت فى أحضانه فى الحين، آه من ظلم العالم للمحبين.

عشق وخلود

٢٩ شاه جيهان وتاج محل

إِنَّ الْهَوَىٰ لَوْ كَانَ يَنْفُذُ	فِيهِ حُكْمِي أَوْ قَضَائِي
لَطَلَّبْتُهُ وَجَمَعْتُهُ مِنْ	كُلِّ أَرْضٍ أَوْ سَمَاءٍ
فَقَسَمْتُه بَيْنِي وَبَيْنَ	حَبِيبِ نَفْسِي بِالسَّوَاءِ
فَنَعِيشُ مَا عَشْنَا عَلَى	مُخَضِّ الْمَوَدَّةِ وَالصَّفَاءِ
حَتَّى إِذَا مِتْنَا جَمِيعاً	وَالْأُمُورُ إِلَى فَنَاءِ
مَاتَ الْهَوَىٰ مِنْ بَعْدِنَا	أَوْ عَاشَ فِي أَهْلِ الْوَفَاءِ ^(١)

شاه جيهان وممتاز محل، من أبناء الملوك ببلاد الهند، تزوجا عن قصة حب، وزادهما القرب حبا، وأنجبا الكثير من الأولاد، وكان يصطحبها معه في كل مكان، ووقفت خلفه وأنقذته من الكثير من المؤامرات التي كانت تنسج له حتى يشنوه عن الحكم، وكانت جواده كريمة أحبها كل من يعرفها ومن لا يعرفها من رعاياها، فلما دنت ساعة

(١) الأحنف

وفاتها أوصت الشاه ببناء ضريح عظيم لها، فأقام لها (تاج محل الهند) وهو من عجائب الدنيا السبع، ودفن جثمانها فيه، وما لبث أن تأمر عليه من يطمع في السلطة، ثم حبسوه أمام هذا الضريح، فلما حانت وفاته أوصى بأن يدفن مع حب حياته، فدفن بجوارها وما زال قبرهما مزارا للناس من كل أنحاء العالم.

اللوحة الأدبية

قصة حب خلدها الزمان، وصارت عجيبة من عجائب الزمان، حين عشق الفتى شاه جيهان، ممتاز محل ابنة السلطان آصف خان، وعشيقته وهو أيضا ابن سلطان، محارب شجاع، وفتى همام، ومحِب وعاشق ولهان، قل أن يجود به الزمان، فجمع الزواج بابن ولى العهد وابنة السلطان، وزاد الحب بالقرب وما فرق بينهما الزمان، تنزل معه حيثما نزل، فى كل وقت وفى كل مكان، فى سلم أو حرب نديان، فأنجبا الكثير من الولدان، وتغلبا على الحاسدين والحاقدين والطامعين فى السلطان، وجادت على الرعية بجود فيها وعطف وحنان، حتى لم يبق فقير فى ذلك الزمان، فأحبها الناس وشاع اسمها فى كل مكان، وسرت قصة حبها فى كل مكان، ممتاز محل وشاه جيهان، حتى دنت ساعة الفراق، ودب الموت فى ابنة السلطان، فعانت من الآلام، وعانى من الأحران، وجلس بجوارها فانهمرت دموعه وبكى السلطان، فقال: ما بك؟ قالت: أشعر بأن الموت قد حان، وأنى تاركتك وحدك للزمان، فلا تهلكك الأحران، واعدل بين الولدان، وأقم ضريحا يبقى وإن مر الزمان، فوفى وأقام ضريحا قل أن يكون مثله فى البنيان، تاج محل عجيبة الدنيا وعجيبة الزمان، ثم اعتقل وذهب عنه السلطان، ولم يفلت من قبضة السجان، فلبث فى السجن ثمان، ينظر يوميا إلى البنيان، ولم يفارقه الحزن يوما ولا الحنان، حتى جاء الأجل، فأوصى المقربون بوضعه بجوار حبه فى البنيان، هكذا انقضت قصة الحب واجتمع بعد الموت الحبيبان، وما زال ضريحهما يخلد قصة حبهما وإن طال الزمان، رحم الله تاج محل وشاه جيهان.

الرقصة الأخيرة

٢٠- سالومي

خَدَعُوها بِقَوْلِهِمْ حَسَناءُ وَالْغَوَايِ يَغُرُّهُنَّ الشَّاءُ^(١)

أعجب الملك هيرودس بزوجة أخيه، وأراد أن يستخلصها لنفسه، فقتل أخيه وتزوجها وانتقلت إلى قصره هي وابنتها سالومي، وهلل العامة وفرحوا الملكهم، ولكن النبي العظيم يحیی أقر بأن هذا الزواج آثم، وأنه لا يجوز، وأن هذه السيدة بغيا، فأرادت من الملك قتله، ولكن الملك يعرف حب العامة ليحيی، فلم يقتله، ولكن أرسله إلى السجن حتى يرجع عن قوله، فمرت عليه ليلا سالومي، وسمعت ترانيمه وصوته الجميل، فحن قلبها إلى الصوت، فدخلت عليه في محبسه، فبهرها جماله الفريد، فأحبته وعرضت عليه نفسها، فأبى فكيف لنبي أن يفعل ذلك، وعاددت الكرة فأبى ونهرها ونعتها كما ينعت أمها، فقررت أن تتخلص منه، ولعلمها بأن الملك يعشق النساء، رقصت له في يوم

(١) أحمد شوقي أمير الشعراء

مولده في وسط احتفال عظيم، فمال إليها وأراد أن يضاجعها، فقالت:
حتى تأتيني برأس يحيى، فأرسل سرية قبل أن تتم رقصتها، وأتوا له
برأس النبي يحيى، فرقصت وهي تحملها على كفيها، فأرسل الله زلزالا
قويا أخذ الملك وأصحابه وملكه، انتقاما لنبي الله يحيى.

اللوحة الأدبية

ملك لا يعرف للعدل طريقا، ولا للنصح صديقا، ولا للإخوة
صليا، ازدانت له زوج أخيه وكانت بغيا، فقتله وانتقلت لقصره وتبوأ
مكانا عليها، وجاءها الناس سجدا، يقرون بالملك ويلقون التحية، إلا
من كان حصورا نبيا، له في القوم مكانة عليّة، قال: أثم الملك وتزوج
بغيا، فأمرته بقتله فخاف الرعية، فحبهم له جما، وكلمته فيهم قوية،
فاكتفى بحبسه عله يمنع صوتا في الحق قويا، فمرت ابنتها على سجنه،
فسمعت ترانيمها وصوتا نديا، يؤثر القلب لو كان حيا، فهامت به حبا،
ودخلت عليه عشيا، فرأت جمالا فريدا بهيا، يؤثر الروح قبل القلب،
وتبغى الجوارح به الصليا، فقالت: ها أنا لك وستعود حرا، فقال إليك
عنى أتغوى نبيا؟، فقالت يشتهينى الملك، ويدفعنى مثلك فتيا!،
فصمت وغادرت ولم تنس وجهه النديا، ثم عاودته عشيا، فقال إنما أنت
وأملك سويا، فقالت: وما أُمى؟ قال: بغيا، فقالت: إن ترفض حبى فلن
تكون حيا، قال إنما ولدت لأموت شهيدا، ودوما كان الشهيد حيا،
فجاءت إلى الملك تتمايل وكأنها حية، تميل بالجسد ويلفظ لسانها سماء،
فسال لعابه وهم بها هما، فقالت: لا إلا أن تأتينى برأس يحى، فقال:
أقتل من كان للناس نبيا، فقد جئت أمرا فريا، قالت هذا وإلا فاهجرنى
مليا، وساعدتها أمها، فردخ الملك للبغايا وأرسل سرية، تغتال يحى
النبيا، جاءوا برأسه محمولا لترقص به، فمن أجل حبها قتلت نبيا،
فأرسل الله زلزالا قويا، أخذ الملك والمُلك والبغيا، ومات يحى شهيدا
ليظل حيا.

خاتمة

وهكذا تنتهي رحلتنا مع الحب عبر الزمان، وفي كل مكان، ولم ولن ينته الحب مادام الزمان، فالمحبون منارات أضواء الله بها الزمان، وعلامات شرف بها المكان، فلم يخل زمان ولا مكان من عاشق أو محب، فبالحب عمر الكون منذ آدم وإلى الآن، وإن لم يحظ المحب بمن يحب، فيكفيه شرف الحب، وذكره في صفوف العشاق، فالحب هو النور في زمن الظلام، وهو الحقيقة في زمن الأحلام، وهو الصدق في زمن الأوهام، وهو الأمل في زمن اليأس، وهو الأمانة في زمن الخيانة، وهو الأمن في زمن الخوف، وهو البراح في زمن الضيق، وهو السلام في زمن الحرب، وهو الجمال في زمن القبح، الحب وحى يلقيه الله في القلب، الحب رزق، الحب رحمة، الحب دين، بل خير الأديان قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران ٣١).

حسن خليل